عالمنا المتأزِّم

هل من سبيل لعالم أفضل؟

ثورة المحبة

چويس ماير

عالمنا المتأزّم

هل من سبيل لعالم أفضل؟

اسـم الـكـتـاب :

عالمنا المتأزّم... هل من سبيل لعالم أفضل؟

(A Way For A Better World)

الـتـألـيـف : جويس ماير

الـمـطـبـعـة : شركة الطباعة المصرية - ت : ٤٦١٠٠٥٨٩

رقـم الإيـداع : ٥٨٦٣ / ٢٠١٠

الترقيـم الدولـي : 7 - 89 - 5302 - 977

التـوزيع بالشرق الأوسط

P.T.W للترجمة والنشر

تليفاكس : ٢٦٦٧٨٩٨٠_ ٢٦٦٧٨٩٨١ - (٢٠٢ +)

E- mail: ptw@ptwegypt.com

Preapare The Way

www.ptwegypt.com

جميع حقوق الطبع في اللغة العربية محفوظة للناشر وحده.

ولا يجوز استخدام أو اقتباس أي جزء من الوارد في هذا الكتاب بأي شكل من الأشكال بدون إذن مسبق منه

Original English Book:

The Love Revolution

Copy Right ©Joyce Meyer Ministries

Arabic Edition © PTW, 2010

ما الخطأ في العالم؟

صحيح أنني مجرد شخص واحد، لكنني
مع هذا شخص. صحيح أنني لا أستطيع
أن أفعل كل شيء،
لكني أستطيع أن أفعل شيئًا ما، ولأنني
لا يمكنني
أن أفعل كل شيء، فلن أرفض أن
أفعل ذلك الشيء
الذي أستطيع عمله.

إدوارد إيفريت هيل

بينما أجلس وأحتسي قهوتي الصباحية، وأنظر من نافذتي إلى المنظر الطبيعي البديع، هناك ٩٦٣ مليون شخص يعانون من الجوع.

أكثر من مليار نسمة يتقاضون أقل من دولار واحد يوميًا.

ثلاثون ألف طفل سيموتون اليوم بسبب الفقر، وهم يموتون في بعض أفقر القرى على وجه الأرض - مُبْعَدين عن ضمير العالم. وهذا يعني أن كل أسبوع يموت ٢١٠ ألف طفل - وكل عام يموت ١١ مليون - ومعظمهم أقل من خمس سنوات.

من بين ٢,٢ مليار طفل في العالم، يوجد ٦٤٠ مليون طفل بدون مأوى مناسب، ٤٠٠ مليون بدون مياه شرب آمنة، و ٢٧٠ مليون بدون أية خدمات طبية من أي نوع.

هل تجد هذه الإحصائيات مروعة بالنسبة لك كما هي بالنسبة لي؟ أتمنى ذلك، فهي حقائق فظيعة وواقعية عن الحياة في العالم الذي نعيش فيه. هذه الأمور تحدث على كوكبنا وأمام عيوننا. أنا أدرك أن الإحصائيات التي قرأتها للتو قد لا تنطبق على المدينة أو الدولة التي تقيم فيها،

لكن اليوم أكثر من أي وقت آخر أصبحنا كلنا مواطنين في العالم. نحن جزء من المجتمع العالمي، وهناك أفراد من أسرتنا البشرية يعانون بطرق لا يمكن تخيلها أو التعبير عنها.

أؤمن أن الوقت قد جاء لصرخة توقظ العالم، صرخة تنهضنا من تكاسلنا وجهلنا ونفورنا من الصعوبات، صرخة تحفزنا لنقاوم الألم والفقر والخسارة، والعوز، والظلم، والقمع، وظروف الحياة التي لا تضمن حياة إنسانية صحية أو حتى أقل قدر من الكرامة للإنسان. في الحقيقة لقد حان الوقت لثورة المحبة!

فم واحد صغير، ستة أسنان في كل منها خراج

في احدى القوافل الطبية لخدمة جويس ماير في كمبوديا، قام طبيب أسنان -كان قد تطوع

بوقته ليذهب ويساعد الناس- بخلع واحد وعشرين سنًا من طفلة صغيرة، ستة منها كانت مصابة بالخراج. عندما أفكر في هذا الموقف الموجع أتذكر عندما كان زوجي يعاني ذات مرة من ألم الأسنان بينما كنا مسافرين إلى أستراليا. كان في غاية التعاسة لأنه كان على متن طائرة ولم يمكنه أن يجد راحة من هذا الألم. بمجرد أن هبطت الطائرة، في الساعة العاشرة مساءً كان هناك شخص قد رتب له زيارة لطبيب أسنان لكي يتلقى المساعدة. لكن ماذا عن الطفلة الصغيرة والآلاف مثلها الذين يتحملون الألم كل يوم وليست لديهم أية وسيلة للرعاية الطبية؟ تخيل هذا الأمر للحظات قليلة. كيف ستشعر إذا كان لديك واحد وعشرون سنًا متآكلة وترجف من الألم؟

هذا النوع من المعاناة التي لا يمكن تخيلها موجود بالفعل، ويحدث لأشخاص حقيقيين

كل يـــوم في أماكن بعيدة في العــالم. معظمنا إما لا يعرفون شيئًا عنهم أو في أفضل الأحـــوال ربما يرون صورًا لهم في التليفزيون. ونقول «يا للعـــار. يجب حقًّا أن يقـوم شـــخص ما بفعل شيء لهم». ثم نواصل احتساء قهوتنا الصباحية ونستمتع بالمنظر البديع.

عندما تكون النفاية نفائس

كانت هناك طفلة في كمبوديا اسمها «جشي» تعيش في مقلب قمامة. انتقلت هذه الطفلة إلى هذا المكان عندما كان عمرها أربع سنوات. لم يستطع والداها أن يعولاها فطلبا من أختها الكبرى أن تأخذها، وكانت الطريقة الوحيدة التي تمكّن الأختين من البقاء على قيد الحياة هي العيش والعمل في مقلب القمامة. تقضي جشي سبعة أيام أسبوعيًا في الحفر في القمامة بأداة

معدنية أو بيديها بحثًا عن طعام تأكله أو عن قطع بلاستيك أو زجاج يمكن أن تبيعها لتحصل على نقود كي تشتري بها طعامًا. وهي تعيش وسط القمامة منذ ست سنوات، وكثيرون غيرها يعيشون منذ وقت أطول بكثير.

أرجو أن تدرك أن هذا هو مقلب قمامة المدينة، وكل ليلة تأتي شاحنات القمامة والنفايات إلى المقلب لتلقي ببقايا ومخلفات أناس آخرين، جمعتها هذه الشاحنات من كل أنحاء المدينة. الأطفال يعملون بالليل، في الظلام، مرتدين خوذات ذات أنوار على رؤوسهم لأن أفضل النفايات يمكن العثور عليها فور وصولها مباشرة.

بعد زيارتي إلى مقلب القمامة، سألني أحد المحاورين عن رأيي فيه. وبينما كنت أحاول أن أصوغ ما يدور في ذهني في صورة كلمات، أدركت أن الموقف مرعب للغاية لدرجة أنني لم أعرف

كيف أفكر فيه. لم يستطع عقلي أن يفهم هذا الانحدار العميق بطريقة يمكن التعبير عنها، لكنني قررت أن أحاول أن أفعل شيئًا حياله.

استغرق التعامل مع هذا الأمر عامًا من المجهود من جانب أناس عديدين، وتطلّب تبرعات من شركاء خدمتنا، وبعض الأموال الخاصة بي وبديف أيضًا. لكننا استطعنا أن نعيد تصميم أتوبيسين كبيرين محولين إياهما إلى مطعمين متنقلين. هذان الأتوبيسان يذهبان إلى مقلب القمامة، ويصعد الأطفال إليهما ويجلسون ويتناولون وجبة لطيفة، بل ويتلقون أيضًا بعض الدروس في القراءة والحساب لتساعد على إعدادهم لمستقبل أفضل. بالطبع نحن نشاركهم بمحبة يسوع، لكننا لا نكتفي بأن نخبرهم أنهم محبوبون، بل نظهر لهم هذا عن طريق سداد احتياجات عملية في حياتهم.

النوايا الطيبة لا تكفي

سمعت قصة عن رجل ذهب إلى روسيا بنوايا طيبة أن يخبر الناس عن محبة يسوع المسيح. وأثناء زيارته، كان هناك كثيرون يتضورون جوعًا. عندما وجد صفًا من الناس ينتظرون على أمل الحصول على خبز ليومهم، اقترب منهم وهو يحمل نبذات من الكتاب المقدس، وبدأ يسير بطول هذا الصف يخبرهم أن يسوع يحبهم معطيًا لكل منهم نبذة بها رسالة الخلاص. بالتأكيد كان هذا الرجل يحاول أن يساعدهم، لكن إحدى السيدات نظرت إلى عينيه وقالت بمرارة: «كلماتك لطيفة، لكنها لا تملأ معدتي الخاوية».

لقد تعلمت أن بعض الناس يتألمون كثيرًا جدًا للدرجة التي تجعلهم لا يسمعون بشارة أن الله يحبهم، يجب أن يختبروا هذه المحبة. واحدى أفضل الطرق لفعل هذا الأمر هو أن نسدد احتياجاتهم

العملية، بالإضافة إلى أن نخبرهم أنهم محبوبون.

يجب أن نتحذر من فكرة أن الكلمات تكفي.

يجب أن نتحذر من فكرة أن الكلمات كافية. بالتأكيد كان يسوع يكرز بالأخبار السارة، لكنه أيضًا كان يصنع الخير ويشفي كل المتضايقين (انظر أعمال الرسل ١٠: ٣٨). الكلام لا يكلف شيئًا، ولا يتطلب جهدًا كبيرًا. لكن المحبة الحقيقية مكلفة. لقد كلفت الله ابنه الوحيد، وعندما نسمح للمحبة الحقيقية أن تفيض من خلالنا، سوف يكلفنا هذا أيضًا. ربما نضطر لاستثمار بعض الوقت، أو المال، أو الجهد، أو الممتلكات لكنه سيكون مكلفًا!

الله يعتمد علينا

بعد قليل سوف أغادر منزلي لكي أذهب لاحتساء القهوة مع زوجي، وبعدها سوف نذهب

لتناول الغذاء معًا. ربما نغيب لمدة ساعتين، وأثناء هذا الوقت سيكون هناك ٢٤٠ طفلاً قد تم اختطافهم لأغراض الاتجار الجنسي. هذا يعني أنه في كل دقيقة هناك طفلان تُدمّر حياتهما بسبب أنانية وطمع شخص ما، إلا إذا فعلنا شيئًا. ماذا يمكننا أن نفعل؟ يمكننا أن نهتم، ويمكننا أن نعرف، ويمكننا أن نصلي، ويمكننا أن نتصرف. يمكننا أن نساند الخدمات والمؤسسات التي لها سجل معروف في إنقاذ الأطفال والنساء من هذه الظروف المرعبة، أو يمكننا أن نختار أن نعمل في هذه الميادين إذا طلب منّا الله ذلك. إذا لم يمكننا العمل طوال الوقت، يمكننا التفكير في فعل شيء مؤقت في شكل مشروع أو القيام برحلة خدمة قصيرة.

عبودية الجنس
بينما تسير في الحارة الضيقة، تجد علامات التآكل والدمار تتسلل إليك من وسط الظلام.

هذه المباني الحجرية تسندها قطع معدنية وأسلاك. يمتلئ الهواء برائحة القمامة المتعفنة والقاذورات البشرية. وخلف هذه الواجهة المتآكلة، تسمع صرخات نواح طفل، وصيحات غضب وهياج، ونباحًا عاليًا لأحد الكلاب الضالة التي تجول في هذه الشوارع القاسية.

إذا سرت في هذه المنطقة ستخبرك حواسك بأمور كثيرة، لكن أكثر ما تتيقن منه هو ما يخبرك به إحساسك. لا شك أن هذا المكان مكان شرير. وسيصعب عليك تخيل أن هذا المكان هو من صنع الأشرار الفاسقين الذين يبيعون الأطفال لأغراض الجنس.

أصبح هذا الجحيم الحي هو بيت «سامراوورك» عندما كان عمرها سبع سنوات فقط. عندما تم إنقاذها في محطة الأتوبيس في عمر الثانية عشرة، كانت قد تدهورت وأصبحت هيكلاً لفتاة

لا حياة فيها- كانت جلدًا على عظام. كانت ميتة عاطفيًا وعيناها خاويتان لا تقويان على التعبير. فعلى مدار خمس سنوات كانت ضحية للمنحرفين الشهوانيين الذين كانوا يدفعون ثمنًا أكبر لامتياز انتهاك جسدها الصغير. كانوا يدفعون ثلاثة دولارات بدلًا من دولار واحد لأنها كانت صغيرة جدًا.

كان الدمار الذي حل بأعضائها الأنثوية شديدًا للغاية، لدرجة أنها احتاجت إلى جراحة إصلاح موسعة حتى يمكنها أن تعيش حياة عادية. لكن الاحتياجات الملحة لجسدها كانت قليلة إذا قورنت بالدمار الذي عانت منه روحيًا وعاطفيًا.

تم تشخيص سامراوورك بمرض نقص المناعة (الإيدز). كانت يتيمة ولا تذكر أيًا من والديها. وكالكثيرين مثلها، وقعت في شرك الشر الذي يفوق التخيل.

تقول الإحصائيات:

- ١٫٢ مليون طفل يتعرضون لهذه التجارة كل عام، هذا بالإضافة إلى الملايين المأسورين في هذه التجارة بالفعل.
- كل دقيقتين يتم تجهيز طفل للاستغلال الجنسي.
- حوالي ٣٠ مليون طفل فقدوا طفولتهم بسبب الاستغلال الجنسي على مدار الثلاثين عامًا الماضية.

كان طبيب الأسنان الذي ذكرته مشاركًا في احدى القوافل الطبية لخدمة جويس ماير في واحدة من دول العالم الثالث. هؤلاء الناس بينهم عدد قليل من الأشخاص العاملين لدى خدمة جويس ماير، لكن معظمهم متطوعون رائعون يقتطعون وقتًا من عملهم ويتحملون نفقاتهم

الخاصة لكي يذهبوا معنا. وهم يعملون من اثنتي عشرة ساعة إلى ست عشرة ساعة يوميًا، وعادة ما يعملون في أماكن تكون فيها درجة الحرارة أعلى بكثير مما اعتادوا عليه مع عدم وجود أجهزة تكييف أو حتى مراوح. وهم يعملون في قرى بعيدة، تحت الخيام، ويستطيعون مساعدة الناس الذين ربما لا يتلقون أية رعاية طبية من أي نوع. ويكون باستطاعتنا أن نقدم لهم علاجًا ينقذ حياتهم ويخفف آلامهم. ونقدم لهم فيتامينات، ونطعمهم، ونعرِّفهم كم يحبهم يسوع حقًا. ونحن نقدم لكل واحد الفرصة لقبول الرب يسوع، ومعظمهم يختارون أن يفعلوا هذا. تتجمع الدموع في عيني كلما تذكرت الأطباء وأطباء الأسنان والممرضات وكل المعاونين الطبيين الآخرين الذين أخبرونا بتأثر بالغ كيف غيرت مثل هذه الرحلات حياتهم للأبد. وبينما نحاول أن نعبِّر

عن شكرنا لهم، ينتهي الأمر بأن يعبِّروا هم عن شكرهم لنا لأن عيونهم انفتحت على المعنى الحقيقي للحياة.

ذات مرة اصطحبنا معنا في رحلة إلى كمبوديا محاسبة تعمل لصالح خدمتنا. وبالرغم من أنها كثيرًا ما رأت العروض التقديمية الخاصة بقوافلنا، إلا أن حياتها تأثرت بصورة حقيقية بما رأته شخصيًا. قالت: «في الحقيقة أنا أشعر وكأنني كنت أعيش داخل فقاعة طوال حياتي». وكانت تعني أنها كانت منعزلة عن الواقع، وأعتقد أن هذا هو حال معظمنا. أنا أعرف أنه ليس باستطاعة كل إنسان في العالم أن يذهب إلى دولة من دول العالم الثالث ليرى بعينيه الحياة التي يضطر الناس أن يعيشوها، لكننا يمكننا على الأقل أن نحاول أن نتذكر عندما نقرأ عنهم أو نراهم في التليفزيون أن ما نراه يحدث

بالفعل لشخص ما - بل لأشخاص كثيرين. الله يحب هؤلاء الناس، وهو يعتمد علينا في أن نفعل شيئًا حيال ذلك.

سوء التغذية

ترى «ميهريت» العالم من منظور مختلف. ففي أنجاشا، وهي قرية إثيوبية صغيرة، تبذل ميهريت أقصى ما بوسعها لتكون مثل باقي الأطفال، لكنها ببساطة ليست مثل باقي الأطفال.

وُلدت ميهريت بصحة جيدة، لكن مع كل يوم إذ كان سوء التغذية يأكل جسدها، أدى هذا إلى تعوج عمودها الفقري أكثر فأكثر، فأصبح من الصعب عليها أن تسير، ومن المستحيل أن تجري وتلعب مع الأصدقاء. كما أنه أدى إلى حدوث ورم كبير ناتئ من الجانب

الأيمن في ظهرها. كان كبيرًا جدًّا لدرجة أنه لا يمكن إخفاؤه، وكان مؤلمًا جدًّا لدرجة أنه لا يمكن تجاهله. كانت عظامها ضعيفة، وهي أيضًا كذلك.

وأكثر شخص كان يعرف ألم ميهريت هو أبوها «أبيبا». الشيء الوحيد الذي يريده أكثر من أي شيء آخر هو فقط أن يطعم أولاده ... ويعيد لابنته الغالية صحتها مرة أخرى. إذا أمكن لميهريت أن تبدأ في الحصول على الطعام المغذي الذي تحتاجه، يمكن إيقاف عملية التدهور. لكن في الوقت الحالي، لا يظهر أمل في الأفق.

يومًا بعد يوم، يصارع أبيبا مع الشعور بالذنب لأنه غير قادر على إطعام أطفاله. كما أنه يعرف أنه إذا لم يحدث تغيير، سوف تسوء حالة ميهريت،

وسرعان ما ستصبح غير قادرة على السير. وفي النهاية ستموت.

اليوم، تعرف ميهريت ألم الشعور بالجوع ... وألم كونها مختلفة عن كل الباقين. كما تعرف أن كل يوم جديد سيكون أصعب قليلاً من اليوم الذي سبقه.

بدأت خدمة جويس ماير بالشراكة مع إغاثة الأزمات الدولية في إمداد ميهريت بالطعام الذي تحتاجه لكي تعيش ولإيقاف تدهور حالة عمودها الفقري. لكن هناك الكثيرون جدًا من الأطفال الصغار الغاليين... كثيرون جدًا مثل ميهريت... يحتاجون مساعدتنا لكسب هذه المعركة أمام سوء التغذية.

تقول الإحصائيات:

- الآن هناك حوالي ٩٦٣ مليون نسمة في

العالم جائعون.

- كل يوم يموت ١٦٠٠٠ طفل تقريبًا لأسباب متعلقة بالجوع - طفل واحد كل خمس ثوان.
- في عام ٢٠٠٦، مات حوالي ٩,٧ مليون طفل قبل أن يبلغوا عامهم الخامس. كل هذه الوفيات تقريبًا حدثت في البلاد النامية - أربعة أخماس منهم كانوا في دول إفريقيا الجنوبية وجنوب آسيا، وهما الإقليمان اللذان يعانيان أيضًا من أعلى معدلات من الجوع وسوء التغذية.

شرخ في أساسات العالم

يبدو لي أن نظام العالم به شرخ في أساساته، ونحن جميعًا نجلس صامتين ونراقبه وهو ينهار. إذا أصغيت جيدًا سوف تسمع الناس يقولون في كل مكان: «إن العالم ينهار». هذا ما نسمعه

في نشرات الأخبار، وفي المحادثات العامة. يبدو أن الجميع يتحدثون عن الظلم الحادث في العالم، لكن الكلام بدون فعل لا يحل شيئًا. وسؤالي هو: «من الذي سيثور على الظلم ويعمل على تصحيح الخطأ؟» لقد قررت أنني سأفعل ذلك. أعرف عدة آلاف قرروا أن يفعلوا نفس الشيء، لكننا نحتاج أضعاف ذلك بمئات الآلاف لينضموا إلينا حتى يمكن إتمام هذه المهمة.

أيًا كان ما تستطيع فعله فهو أمر يستحق الفعل

قد تفكر قائلاً «يا جويس، ما أستطيع فعله لا يمثل شيئًا بالنسبة للمشكلات الموجودة في العالم». أنا أعرف شعورك هذا، لأنني شعرت به من قبل. لكن إذا فكرنا كلنا بهذه الطريقة، لن يفعل أحد أي شيء، ولن يتغير شيء. فمع أن

مجهوداتنا الفردية قد لا تحل المشكلات، لكننا معًا يمكننا أن نصنع اختلافًا كبيرًا. اللّٰه لن يحمّلنا مسؤولية ما لم نستطع فعله، لكنه سيحملنا مسؤولية الأشياء التي كان باستطاعتنا فعلها.

كنت قد عدت مؤخرًا من رحلة إلى الهند، وكانت في صالة الألعاب الرياضية امرأة كنت أراها كثيرًا. وفي ذلك اليوم سألتني إذا كنت أؤمن حقًا أن كل المجهود الذي تتطلبه هذه الرحلات سيساهم في حل أي شيء، بما أن الملايين لازالوا جوعى بغض النظر عن العدد الذي نقوم بإطعامه. فشاركتها بما وضعه اللّٰه في قلبي - وهو شيء حسم المسألة للأبد بالنسبة لي. إذا كنت أنت أو أنا نعاني من الجوع لأننا لم نتناول طعامًا منذ ثلاثة أيام، وقدم لنا شخص ما وجبة واحدة تخفف من ألم معدتنا لمدة يوم واحد، هل نأخذها ونسعد بما حصلنا عليه؟ بالطبع سنفعل ذلك. وهكذا الحال

مع الناس الذين نساعدهم. نحن نستطيع أن نضع برامج رعاية مستمرة لكثيرين منهم، لكن سيظل هناك دائمًا من يمكننا أن نساعدهم مرة أو مرتين فقط. وبالرغم من ذلك فأنا أعرف أن مثل هذه القوافل جديرة بالقيام بها. إذا كان بإمكاننا أن نمنح طفلاً واحدًا جائعًا وجبة واحدة، فهذا أمر جدير بالعناء. إذا كان بإمكاننا مساعدة شخص واحد أن يعيش بدون ألم لمدة يوم واحد، فهذا أمر جدير بالعناء. لقد عزمت على أن أفعل دائمًا ما أستطيع فعله، وأن أتذكر دائمًا ما قاله الله لي: «إذا كان ما يمكنكِ فعله هو فقط أن تخففي ألم شخص ما في مرة واحدة لمدة ساعة واحدة، فهذا أمر جدير بأن تفعليه».

لقد فقد العالم مذاقه

أعتقد أنه يمكن القول بأن معظم ما يقدمه

العالم هو بلا طعم - وأنا لا أتحدث عن الطعام. فعلى سبيل المثال، معظم الأفلام التي تنتجها هوليود بلا طعم. كثير من الحوارات وكثير من الصور المرئية طعمها سيئ. عادة عندما نرى أي نوع من التصرفات له مذاق سيئ، نسرع في إلقاء اللوم على «العالم». وقد نقول أشياء مثل «إلى ماذا سيصل العالم؟» ومع ذلك فإن لفظ «العالم» يعني فقط الناس الذين يعيشون في العالم. إذا كان العالم قد فقد مذاقه، فهذا لأن الناس أصبحوا بلا طعم في اتجاهاتهم وأفعالهم. قال يسوع إننا ملح الأرض، لكن إذا فقد الملح مذاقه (قوته وجودته)، لا يصلح لشيء (انظر متى ٥: ١٣). كما قال أيضًا إننا نور العالم، ولا يجب أن نخفي نورنا (انظر متى ٥: ١٤).

فكر في الأمر بهذه الطريقة: كل يوم -بينما تخرج من بيتك وتتوجه إلى عالم مظلم لا طعم

له- يمكنك أن تكون النور والمذاق الذي يحتاج إليه. يمكنك أن تجلب الفرح لمكان عملك بأن تكون مُصرًّا على أن تحتفظ باتجاه التقوى باستمرار من خلال أمور بسيطة مثل: أن تعبر عن الشكر بدلاً من أن تتذمر مثل معظم الناس، أن تتحلى بالصبر والرحمة، وأن تسارع إلى غفران الإساءة، وأن تكون لطيفًا ومشجعًا. حتى الابتسامة البسيطة والود مع الناس تعتبر طريقة لإضفاء المذاق على مجتمع لا طعم له.

أنا لا أعرف ذوقك في الطعام، لكني عن نفسي لا أحب الطعام الماسخ. ذات مرة عانى زوجي من مشكلة في معدته وأوصاه الطبيب أن يتبع نظامًا غذائيًا بدون ملح لعدة أيام. وعلى ما أتذكر فقد كان لا يريد تناول الطعام. ديف بطبيعته لا يتذمر، لكن عند كل وجبة كنت أسمعه مرارًا وتكرارًا يقول: «هذا الشيء لا طعم له على الإطلاق». كان

يحتاج إلى القليل من الملح، القليل من التوابل - وهذا بالضبط هو ما يحتاجه العالم.

بدون المحبة وكل صفاتها الرائعة، تصبح الحياة بلا طعم ولا تستحق أن نعيشها. أريدك أن تقوم بتجربة. قل لنفسك: «سوف أخرج إلى العالم اليوم وأضيف بعض التوابل». ثم اجعل ذهنك مركزًا قبل أن تخرج حتى من الباب على أنك ستخرج كسفير لله، وأن هدفك هو أن تكون معطاء، أن تحب الناس وتضفي مذاقًا جيدًا لحياتهم. يمكنك أن تبدأ بالابتسام إلى الناس الذين تقابلهم على مدار اليوم. الابتسامة رمز القبول الذي هو شيء يحتاجه بشدة معظم الناس الذين في العالم. استودع نفسك لله، وثق أنه سيهتم بك بينما تزرع بذارًا جيدة في كل مكان تذهب إليه من خلال اتخاذ قرارات تمثل بركة للآخرين.

التغيير يبدأ بك

أنا أدرك أنك لا تستطيع أن تفعل كل شيء، وأنا لا أشك في ذلك على الإطلاق. لابد أن تقول لا لبعض الأشياء وإلا ستمتلئ حياتك بالضغوط. أنا لا أستطيع أن أتطوع لتعليم الأطفال أو لتقديم الوجبات للمسنين، لكنني أقوم بأشياء أخرى كثيرة تصنع فرقًا إيجابيًا في العالم. أعتقد أن السؤال الذي يجب على كل منّا أن يجيب عليه هو: «ما الذي أفعله لأجعل حياة شخص آخر أفضل؟»، وربما يكون السؤال الأفضل هو: «ما الذي فعلته اليوم لأجعل حياة شخص آخر أفضل؟»

قد تكون قراءة هذا الكتاب صعبة في بعض الأوقات؛ لأنه على ما أرجو يثير قضايا غير مريحة، لكنها قضايا يجب أن يتناولها كل منّا. لن يحدث أي شيء جيد أبدًا بالصدفة. إذا أردنا أن نكون جزءًا

من الثورة، فهذا يعني أن هناك أمورًا يجب أن تتغير، ولا يمكن للأمور أن تتغير إلا إذا تحرك الناس. يجب أن يقول كل منّا: «التغيير يبدأ بي!»

لن يحدث أي شيء صالح أبدًا بالصدفة. إذا أردنا أن نكون جزءًا من الثورة، فهذا يعني أن هناك أمورًا يجب أن تتغير، ولا يمكن للأمور أن تتغير إلا إذا تحرك الناس. يجب أن يقول كل منّا: «التغيير يبدأ بي!»

ثائرة المحبة
دارلين تشيك

رحلة القلب هي واحدة من أكثر الرحلات تعقيدًا وغموضًا. فهناك الابتهاج والحزن، الرجاء والانتظار، الارتفاع والانخفاض ... وللأسف بالنسبة للكثيرين هناك خيبة أمل شديدة تجعل

القلب لا يريد أن يشعر بأي شيء بعد الآن رغم أنه يقوم بوظائفه. عندما لا يكون لدى الإنسان إدراك لمحبة الله العظيمة التي يمكنه أن يستند عليها ويتقوى بها، عندها يجد قلب الإنسان طريقة للتعايش مع الواقع القاسي وإدارته بل والعيش بالرغم منه. وهذا هو الموضع الذي يجد فيه عدد لا يُحصى من الناس أنفسهم اليوم، من أغناهم إلى أفقرهم، إذ أن فقر القلب لا يهمه نوعية المكان الذي يختاره بيتًا له.

تحدث النبي إشعياء عن ثورة محبة جذرية في (إشعياء ٦١: ١١)، إذ تصف الكلمة يومًا فيه ستجعل المحبة الناس يجدون الإنصاف... ويصنع الرب يسوع طريقًا في البرية. «لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الأَرْضَ (بكل يقين) تُخْرِجُ نَبَاتَهَا، وَكَمَا أَنَّ الْجَنَّةَ تُنْبِتُ مَزْرُوعَاتِهَا، هكَذَا (بكل يقين) السَّيِّدُ الرَّبُّ يُنْبِتُ بِرًّا وَتَسْبِيحًا أَمَامَ كُلِّ الأُمَمِ (من خلال قوة التحقق

الذاتية لكلمته)».

ثورة المحبة ليست مجرد فكرة عظيمة، بل مفهوم يتسم بالإلحاح الشديد ... خاصة إذا كنّا نؤمن بإمكانية تبدل الظلم المأساوي الذي نراه على الأرض اليوم .. بما في ذلك أثقل مأساة على الإطلاق، وهي مأساة انكسار قلب البشرية.

هذا الانكسار يواجهنا مرات ومرات، كما في وجه الأم الشابة التي ترضع طفلها الذي هاجمه المرض وافترسه نتيجة الإيدز. وهي تفعل كل ما باستطاعتها فعله، لكن أمامها الاختيار ... هل ترضع طفلها فتلتقط عدوى هذا المرض القاتل وهي تعرف ذلك، أم تتركه يموت جوعًا لعدم وجود الطعام البديل؟ أقل ما يقال عن قلب هذه المرأة هو أنه مكسور. فهي أم مُثلى، يملؤها السرور عندما تجد الفرصة لترى طفلها وهو ينمو في رعايتها.

إن رؤية الشبان والشابات وهم يقفون بلا طعام

ولا ماء ولا مكان يذهبون إليه ولا شيء يفعلونه، أمر يكسر القلب لأقصى درجة، ويملأ القلوب بإدراك مستمر للحقيقة. إن قلوبهم وعقولهم مليئة بعدد لا يحصى من الأحلام، لكنها أحلام تتحقق فقط لو استطاعوا أن يجدوا طريقة يذهبون بها للمدرسة ويبتاعون شيئًا يأكلونه.

إن اليأس يدفع الناس لفعل أمور عجيبة، فيتسببون في المزيد من الألم والعنف الشديد نحو بعضهم البعض ... كم تقل قيمة الحياة الإنسانية كثيرًا عند الناس عندما يواجهون الفقر المدقع، لكن القلب لا يمكنه أن يتحمل سوى قدر معين من الوجع.

يوجد صبي عمره ١٤ عامًا يقوم بتربية أخيه وأخته الأصغر وابن أخ أصغر منهما أيضًا في كوخ صغير مُغطى بالصفيح يسمونه البيت في جنوب القارة الإفريقية. هذا الصبي يعمل طوال

اليوم في مزرعة حبوب صغيرة، محاولاً بكل جهده أن يؤمِّن لهم جميعًا -بما في ذلك نفسه- مكانًا في المدرسة، وأن يحصل على شيء لهم جميعًا ليأكلوه ويبقيهم أقوياء كل يوم. مات والده من جراء الإيدز، وقامت مدينته بحرمان الأطفال كنسيًا خوفًا من أن يكونوا هم أيضًا مرضى بهذا المرض. واحتمالات حدوث ذلك كبيرة، فلم يتم اختبارهم بعد. ذلك القلب الجسور لهذا الصبي ذي الأربعة عشر عامًا يزداد ضعفًا نتيجة العمل الشاق الذي لا يتوقف، والمرض، وعدم اليقين.

توجد أم شابة في سيدني بأستراليا، سكبت حياتها لأجل زوجها وأطفالها، ثم اكتشفت أن زوجها كان يخونها مع كثيرات، لمدة شهور طويلة، والآن يريد أن يتزوج من أخرى. هذه السيدة تشعر بالعزلة ونقص القيمة والمهانة، وعليها الآن أن تواجه مستقبلاً بدون زوجها. وليس هذا فقط،

بل أيضًا في أيام كثيرة سيكون بدون أولادها، إذ يحارب الزوج للحصول على حق الوصاية عليهم. لقد انكسر قلبها لدرجة أنه أصبح من الصعب عليها أن تتنفس، أو أن ترى الطريق أمامها.

أتذكر أنني كنت أجلس في ضواحي أوغندا مع احدى القائدات الرائعات لأحد برامج رعاية الأطفال المدهشة القائمة هنا. وكنا نتحدث، وبدأت تصف لي كيف أنه بالرغم من أنهم يفعلون الكثير للمساعدة في إنقاذ الأيتام في هذا الإقليم، إلا أن كمية الأطفال الذين في متناولهم ويفتقرون إلى وسائل البقاء على قيد الحياة هائلة. وقفت وبدأت أدلك كتفيها المتألمين بينما استمرت هي تتكلم عن قلبها المكسور، وعن إحباطها المستمر، وسرعان ما تحولت الكلمات إلى بكاء. سنوات من الحياة التي تحاول استغلال الوسائل بقدر الإمكان البشري، ومع ذلك تشاهد وتسمع أطفالاً ينامون

وهم يتألمون من الجوع والوحدة. هذا الأمر تملّك على هذه النفس الـمُرهَقَة.

يمكن أن تستمر القصص من هنا إلى الأبدية، عن أناس يصارعون للبقاء على قيد الحياة، من أعماق إفريقيا إلى آسيا ذات الكثافة السكانية العالية، ومن الولايات المتحدة إلى أوز. يبدو أنه أينما نظرت، ستجد جدرانًا كبيرة من انكسار القلب الرهيب. فبالرغم من الشاحنات المحملة بطرود الغذاء والتطعيمات، والمشيرين ومساندة المجتمع، لازلنا نحتاج إلى المزيد والمزيد لكسر هذه الحلقة التعيسة. ثورة المحبة ... هنا نجد مهمة حياتنا!

يرسل لنا (لوقا ٤) هذه الرسالة بكل وضوح:

« رُوحُ الرَّبِّ عَلَيَّ، لأَنَّهُ مَسَحَنِي لأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ، أَرْسَلَنِي لأَشْفِيَ الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ، لأُنَادِيَ لِلْمَأْسُورِينَ بِالإِطْلاَقِ وَلِلْعُمْيِ بِالْبَصَرِ، وَأُرْسِلَ الْمُنْسَحِقِينَ فِي الْحُرِّيَّةِ، وَأَكْرِزَ بِسَنَةِ الرَّبِّ

الْمَقْبُولَةِ». (انظر لوقا ٤: ١٨-١٩)

في كل مرة أقرأ هذا الجزء وأعيد قراءته، أتذكر أننا يجب أن نكون مركزين وواضحين في محاولاتنا لإعلاء شأن حياة الآخرين ... من أقل إشارة إلى أعظم تخطيط ... لأن هذا هو الوقت الذي يجب أن نقف فيه وننتقل من حالة السكون، من حياة الراحة والذات، ونقدم أنفسنا بأية طريقة ممكنة لإخوتنا وأخواتنا المحتاجين عبر الكرة الأرضية.

هناك كلمة عظيمة هي بحق احدى أقوى الكلمات التي تُدخِلها المحبة إلى الحياة ... وهذه الكلمة هي الرجاء. تقول كلمة الله إن الرجاء الذي لنا هو مرساة للنفس (انظر عب ٦: ١٩) ويقول (مزمور ٣٩: ٧) ... «وَالآنَ، مَاذَا انْتَظَرْتُ يَا رَبُّ؟ رَجَائِي فِيكَ هُوَ». الرجاء دائمًا حي، حتى عندما يكون الموقف كئيبًا ويبدو مستحيلاً. إن مهمتنا هي أن نوصل هذا الرجاء مع الإيمان والمحبة لمن يتألمون.

لقد اختبرت معنى أن يتمدد قلبي ويواجه التحديات لدرجة الإرهاق في محاولة لوضع حلول لمن يعيشون في وسط أسوأ البيئات الفقيرة. لكن المعجزة هي أنك بينما تجلس بين من لا يمتلكون شيئًا وتبدو المواقف بلا أمل، تشعر شعورًا قويًا بنعمة الله وهي في وسط هؤلاء الأشخاص الرائعين. وحتى وهم يصارعون ويجاهدون لمواصلة رحلة بقائهم، يشرق الله عليهم من جديد. لقد وجدت كثيرين من «أسرى الرجاء» كما يقول الكتاب المقدس في (زكريا ٩: ١٢) (كم أحب هذه الفكرة) ... الذين يؤمنون ببساطة لكن بقلب كامل، ويعرفون أن الله وحده هو الجواب وهو العائل.

إن غايتي الشخصية أن أحب الرب وأعبده بكل قلبي، هي الأولوية الأولى لي في حياتي الروحية... أن أطلبه وأحبه وأخدمه. فإن تعلُّم ثقل حياة

العبادة، وقيمة حضوره، ونعمته العجيبة، هي عطية لا يمكن وصفها. وبالتأكيد سوف نحتاج إلى الأبدية كلها للتعبير عن «كلمة شكر» تليق بكل ما فعله الله ويستمر يفعله. وقد كان ما تعلمته عن تقديم ترنيمة إيمان وتعلية للرب يسوع في وسط المعركة، هو أحد الدروس العظيمة التي حاولت أن أتعلمها في أعماق قلبي. لكن الدرس المستمر لي هو عن المزيد الذي يطلبه الرب منّا من خلال العبادة. وكلما واصلت الاستماع إلى نبضات قلبه في الكلمة المقدسة، كلما تأكدت أن العبادة هي أكثر من مجرد الترانيم التي نرنمها. فهي حياة تُسكب، طالبة أن تكون هي يدي الله وقدميه على هذا الكوكب اليوم.

منذ سنوات كثيرة، قمت بزيارة بعض الأطفال الأفارقة الغاليين في بيت لمرضى الإيدز. وكانوا كلهم يتامى، لكنهم كلهم كانوا مملوئين بحماس

من يمتلكون الرجاء. وقفوا ورنموا معي ... كل شيء مستطاع. مما شجعني وحفزني إذ ملأت أصواتهم الصغيرة الجو بالحياة والفرح. كانت لحظة لا تُنسى، وذكرى لا تُنسى لقوة كلمة الله في حياتنا.

يقول (عبرانيين ١٣: ١٥) « فَلْنُقَدِّمْ بِهِ فِي كُلِّ حِينٍ لِلَّهِ ذَبِيحَةَ التَّسْبِيحِ، أَيْ ثَمَرَ شِفَاهٍ مُعْتَرِفَةٍ بِاسْمِهِ». ثم يكمل في الآية ١٦ ليقول « وَلَكِنْ لاَ تَنْسَوا فِعْلَ الْخَيْرِ وَالتَّوْزِيعَ (للمحتاجين من الكنيسة كتجسيد وبرهان على الشركة)، لأَنَّهُ بِذَبَائِحَ مِثْلِ هَذِهِ يُسَرُّ اللهُ».

يعتبر ترنيم ترنيمة لله، والانضمام إلى نشيد الأبدية العظيم، أحد أعظم الأفراح هنا على الأرض. فهو يقوينا ويدفعنا ويشحننا في محضره لكي نعيش التكليف العظيم ... يشحننا بينما تمتد أيدينا نحو السماء... ثم يجهز أيدينا الممدودة باستعداد للخدمة. وكما قال أوغسطينوس: «يجب

أن تكون حياتنا هللويا من الرأس إلى إصبع القدم».

لكن بالنظر إلى ما يطلبه خالق السماء والأرض، سنجد أن العبادة بالترانيم وحدها هي نقطة البداية فقط. هناك أكثر من أربعين مرة يحثنا فيها الكتاب المقدس أن نرنم ترنيمة جديدة، بل وأكثر من هذا أن نأتي بتقدمات وطاعة مُكلِّفة أمام الرب. لكن توجد حوالي ٢٠٠٠ إشارة إلى ضرورة المشاركة الفعالة عن طريق تقديم حياتنا كذبيحة، من خلال العناية بمن يتألمون في جوانب متعددة من الحياة، لكننا لابد أن نتذكر أنه بدون قضاء أوقات في الصلاة والتأمل في كلمة اللّٰه، وبدون تلك اللحظات الرقيقة المدهشة في تعميق العلاقة مع المسيح ... سوف تصير أعمال خدمتنا بكل سهولة مجرد «أعمال»، وتصبح الخدمة متعلقة بنا بدلاً من أن تتعلق بمن نخدمهم.

بالتأكيد تساعد أوقات العبادة المتعمدة

في جعل قلبك يتعرض للمواجهة، ويستسلم للتغيير في محضر اللّٰه. وبما أن رحلة المسيرة المسيحية كلها هي رحلة القلب، يمكنك إذًا أن ترى لماذا يعد تعلم العبادة بكل الكيان خطوة حاسمة في هذه العملية. اللّٰه دائمًا يريد الحق في خدمتنا له ... والحق يتقرر في إطار قلبك، ولهذا فإن رعاية قلوبنا والحفاظ عليها له الأهمية القصوى فيما يتعلق بالرب.

« فَوْقَ كُلِّ تَحَفُّظٍ احْفَظْ قَلْبَكَ، لأَنَّ مِنْهُ مَخَارِجَ الْحَيَاةِ».(أم ٤: ٢٣)

لن أنسى أبدًا التحدي الذي وضعه أمامنا القس «بيل هايبلز» من كنيسة «ويلوكريك» بجوار «شيكاغو» منذ سنوات قليلة، عندما قال إننا كمسيحيين وقادة مسيحيين لا يكفي أن نتكلم عن الظلم وأن نشاهد أفلامًا عنه. قال إننا يجب أن نسمح للفقر أن يلمسنا، ويحيط بنا ... وأن

تصير روائح وحقائق البقاء على قيد الحياة شعورًا لا يمكننا أبدًا أن ننساه. لا يجب أن نرسل فقط الأموال ونشعر أننا قد فعلنا واجبنا، بل يجب أن نكون مدعوين للعمل بمحبة الله العظيمة - وأن نشارك محبته وحياته، وأن نثق فيه أنه سيخلق طريقًا. هذه هي الرحلة التي دعينا كلنا للقيام بها. وهذا هو الموضع الذي تصير فيه محبتنا عاملة، وتصير فيه عبادتنا وحياتنا كلها لها دور.

« وَمَنْ قَبِلَ وَلَدًا وَاحِدًا مِثْلَ هَذَا بِاسْمِي فَقَدْ قَبِلَنِي».(مت ١٨: ٥)

«من الذي سيعتني بأطفالي؟» هكذا صرخت أم تحتضر، عالمة أن أولادها سرعان ما سينضمون إلى الملايين المضاعفة الأخرى في كل الكرة الأرضية الذين يبحثون عن أم جديدة. لقد شاهدت أصدقاء، مرضى بالسرطان، يصرخون هذه الصلاة عينها. لا يمكنني أن أفكر في انكسار قلب أكبر

من هذا، أو تأوه أعمق يخرج في أحلك الأوقات. أريد أن أصرخ إليها قائلة: «نحن سنفعل هذا». وهذه بالتأكيد منطقة يجب فيها أن نشمر عن أذرعنا، ونعمل ونصلي ونصدق، ونتقدم بإيمان. ليس عليك أن تعيش في العالم الثالث لكي تجد الأيتام الذين يحتاجون إلى أسرة، أو من يشعرون بالوحدة ويبحثون عن الصداقة. كل منا يعيش في مدن فيها أطفال منخرطون في الأنظمة الحكومية التي تحاول قدر استطاعتها أن تسدد احتياجًا، يمكننا نحن ككنيسة، أن نساعد في تسديده.

أنا أحب الكنيسة ... فهي متنوعة للغاية، وتقف شامخة في كل الأرض بإحساس جديد من الثقة والتألق. لكن الكنيسة تبدو في أفضل حالاتها عندما تكون أولاً وقبل كل شيء مُحِبَّةً الله بكل كيانها ... ثم تقف الكنيسة تمد ذراعيها لتخدم المجتمع المتألم والعالم المكسور، لكي

توصل يسوع إلى الناس بكل ما يتضمنه هذا من معنى، لا تدين الفقراء أو تنتقدهم، بل فقط تحبهم ... والمحبة مكلفة، وهي فعل وليست اسمًا. معًا يمكننا حقًّا أن نقف في الثغر بالنيابة عمن لا صوت لهم ... يمكننا أن نحب الرب إلهنا بكل قلوبنا ونفوسنا وفكرنا وقوتنا ... وأيضًا أن نحب أقرباءنا كأنفسنا. هذا مذهل حقًّا!

كيف إذًا نتعامل مع هذا اليأس الذي يبدو عملاقًا؟ كيف نفتح الباب للعالقين في هذا السجن الخطير؟

لا يمكن لأحد منّا أن يتعامل مع هذ الأمر بمفرده. حتى العظماء الأذكياء المحبين للبشر يحتاجون إلى الآخرين وإلى خبرة الفِرَق المتعددة التي تعمل معًا للخير الأكبر لتحقيق أقصى منفعة لأكبر قدر من الناس. لكننا نحتاج بالفعل إلى أن نبدأ، ربما نكفل طفلاً، أو نكون صوتًا للمكسورين في

مجتمعاتنا. ساعد بطريقة ما في نظام الرعاية إذا أمكنك ذلك (مثل رعاية الطوارئ، الرعاية قصيرة الأجل أو طويلة الأجل، الرعاية في عطلات نهاية الأسبوع)، أو اجمع نقودًا للأعمال الخيرية أو لاحتياج ما في قلبك. تحرك إلى ما هو أبعد من المبادرات في كنيستك، وحفز الجماعة للفعل. عش ببساطة - ولتركز على الحياة بهدف العطاء، وليس فقط بهدف الصرف... القائمة لا تنتهي.

لكن من المهم أيضًا أن نحرص على أن تكون قلوبنا وحياتنا مشحونة وحية لأية فرصة تأتي أمامنا بصورة يومية، سواء كانت عالمية أو محلية... تمامًا مثل قصة السامري الصالح، الذي تخطى حالة الركود التي كانت في أيامه، وخرج عن مساره لكي يقدم المساعدة والإجابات بينما مر الآخرون بدون اهتمام. لقد تحنن هذا السامري ... ولم يتأثر عاطفيًا قط، بل تجاوب فعليًا أيضًا.

ويمكنني أن أقول إنك إذا كنت تجتاز فترة تشعر فيها أنك تحتاج إلى من يخدمك، بدلاً من أن تكون أنت الذي تعطي، فتشجع. أحط نفسك بجو من العبادة والتسبيح، املأ بيتك بالموسيقى التي تلهم قلبك، املأ سيارتك بشرائط كلمة الله، ابق بقرب العائلة والكنيسة والمجتمع الذي تعرف أنه سيغذيك ويشجعك ... واسمح لروح الرب أن يملأك باستمرار من الداخل إلى الخارج. سواء كنت تحتاج إلى الشفاء، أو إلى تسديد احتياج مادي، أو معجزة في العلاقات .. فإن إلهنا قادر. اسمح لنفسك أن تقع بين يدي ربنا وقوته الآمنة. لأنه لن يتركك أو يهملك. والثقة فيه هي أعظم فرح ورجاء لديك. لكنني أريد أن أترك معك هذه التذكرة ... أن تحب الرب إلهك بكل قلبك، وفكرك، ونفسك، وقدرتك، وأيضًا أن تحب قريبك كما تحب نفسك. أنت شخص غالٍ وثمين للغاية.

إياك أن تنسى ذلك!

من كل قلبي،

دارلين تشيك

رحلة القلب هي واحدة من أكثر الرحلات تعقيدًا وغموضًا. فهناك الابتهاج والحزن، الرجاء والانتظار، الارتفاع والانخفاض ... وللأسف بالنسبة للكثيرين، هناك خيبة أمل شديدة تجعل القلب لا يريد أن يشعر بأي شيء بعد الآن رغم أنه يقوم بوظائفه. عندما لا يكون للإنسان إدراك لمحبة الله العظيمة التي يمكنه أن يستند عليها ويتقوى بها، عندها يجد قلب الإنسان طريقة للتعايش مع الواقع القاسي وإدارته، بل والعيش بالرغم منه. وهذا هو الموضع الذي يجد فيه عدد لا يحصى من الناس أنفسهم اليوم، من أغناهم إلى أفقرهم، إذ أن فقر القلب لا يهمه نوعية المكان الذي يختاره بيتًا له.

كما ذكرتنا دارلين تشيك، فإن النبي إشعياء

تحدث عن ثورة المحبة الجذرية في (إشعياء ٦١: ١١)، إذ وصف يومًا فيه ستؤدي المحبة إلى أن يجد الناس الإنصاف، ويصنع فيه الرب يسوع طريقًا في البرية: «لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الأَرْضَ (بكل يقين) تُخْرِجُ نَبَاتَهَا، وَكَمَا أَنَّ الْجَنَّةَ تُنْبِتُ مَزْرُوعَاتِهَا، هَكَذَا (بكل يقين) السَّيِّدُ الرَّبُّ يُنْبِتُ بِرًّا وَتَسْبِيحًا أَمَامَ كُلِّ الأُمَمِ (من خلال قوة التحقق الذاتية لكلمته)».

أكثر من مجرد فكرة عظيمة

ثورة المحبة ليست مجرد فكرة عظيمة، لكنها ضرورة لنا لكي نرى بعض المظالم المأساوية التي في العالم اليوم تتبدل، بما في ذلك أثقل مأساة ممكنة - مأساة انكسار قلب البشرية. يقول (مزمور ٢٧: ٣) «إِنْ نَزَلَ عَلَيَّ جَيْشٌ لاَ يَخَافُ قَلْبِي. إِنْ قَامَتْ عَلَيَّ حَرْبٌ فَفِي ذلِكَ أَنَا مُطْمَئِنٌّ». وهذا ما يجب أن يحدث في قلوب كل البشر.

جذور المشكلة

إن مفتاح السعادة ليس هو أن تجد شخصًا يحبك، بل أن يكون لديك شخص تحبه.

جذر أي شيء هو مصدره الأساسي - بدايته، ما يدعمه تحت السطح. وعادة ما تكون الجذور تحت الأرض. وبسبب هذا كثيرًا ما نتجاهلها وننتبه فقط لما نراه على السطح. الشخص الذي يتألم من أحد ضروسه غالبًا يحتاج إلى حشو جذور. جذر الضرس هو الجزء المتآكل، ويجب معالجته وإلا لن يتوقف الوجع. جذر الضرس لا يمكن رؤيته، لكنك تعرف أنه موجود لأن الألم شديد. العالم يتألم، وهذا الألم لن يتوقف أبدًا إلا إذا وصلنا لجذر المشكلات التي تعذب الأفراد والمجتمعات. وأنا أرى أن الجذر هو الأنانية.

لقد حاولت أن أفكر في مشكلة ليست متأصلة في الأنانية، ولم أستطع أن أصل حتى إلى واحدة فقط. الناس لا يهمهم كيف يتسببون بتدمير حياة شخص آخر لكي يحصلوا على ما يريدون أو ما يشعرون أنه أمر جيد. بالاختصار، الأنانية هي جذر وأصل كل متاعب العالم.

> لقد حاولت أن أفكر في مشكلة ليست متأصلة في الأنانية، ولم أستطع أن أصل حتى إلى واحدة فقط.

الأنانية لها آلاف الوجوه

الأنانية لها آلاف الوجوه، وربما يكون هذا بالتحديد هو السبب الذي يجعلنا لا نعرف حقيقتها. نحن نراها في الرُضَّع الذين يصرخون عندما لا يحصلون على ما يريدون، وفي الأطفال

الذين يأخذون لعب أطفال آخرين. وهي أمر واضح في رغبتنا في أن نبدو أفضل من غيرنا أو أن نؤدي شيئًا أفضل منهم. جوهر الأنانية هو أن تكون الأول في كل شيء. ومع أنه لا يوجد خطأ في أن نريد أن نفعل أفضل ما يمكننا عمله، فإن الخطأ هو في الاستمتاع برؤية الآخرين وهم يفشلون لكي ننجح نحن.

أؤمن أن كل أشكال الأنانية رديئة، وأنها تسبب المشكلات. وفي هذا القسم أريد أن أجذب انتباهك إلى ثلاثة أنواع محددة من الأنانية المعروفة في العالم اليوم وإلى النتائج السلبية التي تؤدي إليها.

الإساءة الجنسية. تبلغ «آن» من العمر ثلاثة عشر عامًا. قال لها أبوها إنها أصبحت الآن امرأة، وأنه قد آن لها أن تفعل ما تفعله النساء. عندما انتهى من تعريفها بمعنى أن تكون امرأة، شعرت

بالخزي والخوف والقذارة. ومع أنه أكد لها أن ما فعله هو شيء جيد، إلا أنها تحيرت من طلبه أن تبقي هذا الأمر سرًا، وتساءلت لماذا يجعلها هذا الأمر تشعر بهذا السوء. ومع مرور السنوات واستمرار أبيها في التحرش بها واغتصابها، انعزلت آن عاطفيًا لدرجة أنها لم تعد تشعر بأي ألم. لقد سلبها أبوها طفولتها، وعذريتها، وبراءتها، وإذا لم يتدخل الله، سيسلبها حياتها أيضًا - كل هذا لكي يحصل على ما يريد.

لقد ابتُلينا بحالات اغتصاب الأقارب التي نسمع عنها، لكن الحقيقة هي أن ٩٠ - ٩٥ بالمائة من كل هذه الحالات غير معروفة. لقد تعرضت للإساءة الجنسية من والدي لعدة سنوات، وحاولت في مرتين مختلفتين أن أخبر أشخاصًا آخرين بما كان يحدث لي، وبما أنهم لم يساعدوني، فقد ظللت أتألم وحدي إلى أن كبرت وبدأت أخيرًا أشارك

بحكايتي وأقبل شفاء الله. مات والدي في عمر السادسة والثمانين بدون أن يُعاقب رسميًا على جريمته. الناس الذين كان يعمل معهم، ويذهب معهم إلى الحفلات والرحلات، لم يعرفوا أبدًا أنه كان يغتصب ابنته منذ أن كانت فتاة صغيرة.

نحن نرى ما يفعله الناس ونسرع في الحكم عليهم، لكننا نادرًا ما نعرف الجذور المسببة لتصرفهم هذا. كثير من السيدات اللواتي نحكم عليهن أنهن «مشكلات في المجتمع» هن ضحايا لاغتصاب الأقارب. على سبيل المثال:

- ٦٦ بالمائة من كل العاهرات هن ضحايا للإساءة الجنسية في الطفولة.
- ٣٦,٧ بالمائة من مجموع النساء في السجون في الولايات المتحدة تعرضن للإساءة في الطفولة.

- ثلث الأطفال الذين تعرضوا للإساءة والإهمال سوف يتصرفون بالإساءة والإهمال تجاه أطفالهم في وقت لاحق.
- ٩٤ بالمائة من مجموع ضحايا الإساءة الجنسية كانوا أقل من الثانية عشرة من العمر عندما تعرضوا للإساءة لأول مرة.

إن الألم الحادث في عالمنا بسبب اغتصاب الأقارب والإساءة الجنسية وحدهما ألم مروع. وكل هذا بدأ لأن الناس كانوا أنانيين ولم يهتموا بمن الذي تألم، طالما حصلوا على ما كانوا يريدونه.

بالطبع ربما لن تقتل أو تسرق أو تكذب أو ترتكب أفعال عنف ضد الأطفال، لكنك غالبًا أناني بطرق معينة. إذا جرؤنا على التغاضي عن أنانيتنا عن طريق توجيه الاتهام إلى من ارتكبوا جرائم أفظع من جرائمنا، فلن ننجح أبدًا في التعامل مع

مشكلات المجتمع اليوم. كلٌّ منّا يجب أن يتحمل مسؤولية التعامل مع سلوكه الأناني الخاص، أيًا كان مستواه أو كيفية التعبير عنه.

الطمع. كثيرًا ما تأخذ الأنانية شكل الطمع. الطمع هو الروح التي لا تشبع أبدًا ودائمًا تريد المزيد. إن مجتمعنا اليوم بالتأكيد موجَّه نحو الاستهلاك. أنا أندهش عندما أقود سيارتي وأرى كل المراكز التجارية ومحلات التسوق الموجودة أو التي يتم إنشاؤها. أينما نظرت تجد شيئًا يُعرَض عليك لكي تشتريه. أغراض وأغراض والمزيد من الأغراض - وكل هذا مجرد أوهام. فهو يعدك بحياة أسهل وسعادة أكثر، لكن بالنسبة للكثيرين، كل هذا يؤدي إلى ديون ثقيلة.

إن الضغط والإغراء أن تشتري المزيد والمزيد يجعلنا نظل متأصلين في الأنانية، لكن الخبر

السار هو أننا يمكن أن نتغير إذا كنا نريد ذلك حقًا. ليتنا نتعلم أن نشتري ما نحتاجه وبعضًا مما نريده، ثم نتعلم أن نعطي الكثير من ممتلكاتنا، خاصة الممتلكات التي لم نعد نستخدمها، لشخص يمتلك أقل مما نمتلك نحن. دعونا نمارس العطاء إلى أن يصبح هو الشيء الطبيعي التلقائي الذي نفعله كل يوم من أيام حياتنا. بالنسبة لغالبية الناس سوف تكون هذه بالحقيقة ثورة في الطريقة التي يعيشون بها.

يقول الكتاب المقدس إن محبة المال هي أصل لكل الشرور (انظر ١تي ٦: ١٠). والسبب الوحيد الذي يجعل الناس يحبون المال ويفعلون أي شيء مهما كان للحصول عليه، هو ببساطة أنهم يشعرون أن المال يجلب لهم أي شيء يريدونه، فَهُم يؤمنون أنه يستطيع أن يشتري لهم السعادة. الناس يقتلون ويسرقون ويكذبون لأجل المال -وهذا

كله متأصل في مرض الأنانية. قرأت مؤخرًا مقالة بقلم أحد الممثلين المشهورين قال فيها إن الناس يعتقدون أنهم إذا حصلوا على كل الأشياء التي يرغبون فيها سيصيرون سعداء، لكن هذا الوعد زائف. وأكمل كلامه ليقول إنه حصل على كل شيء يمكن أن يرغب فيه أي إنسان واكتشف أن هذا لم يجلب له السعادة، لأنه بمجرد أن يصل الإنسان، إلى هدف امتلاك كل ما يقدمه العالم، يظل وحيدًا مع نفسه.

الطلاق. الأنانية هي أيضًا الجذر المسبب للطلاق. غالبًا يتزوج الناس وتكون لهم أفكار خاطئة عمَّا يجب أن يكون عليه الزواج. كثيرون منّا يقررون أن شريك الحياة هو الشخص الذي يجب أن يجعلنا سعداء، وعندما لا يحدث هذا، تبدأ الحرب. كم ستختلف الأمور كثيرًا إذا تزوجنا وقررنا أن نفعل كل ما يمكننا لكي نجعل شركاءنا سعداء!

الآن ربما تفكر قائلاً: «أنا لن أفعل هذا لأنني أعلم أنه سيتم استغلالي». في سنواتي الأولى كنت سأوافقك على هذا الرأي، لكن بعد أن عشت حياة طويلة، أؤمن أن الكتاب المقدس حقيقي، فهو يعلمنا أن المحبة لا تسقط أبدًا (انظر ١كو ١٣: ٨). كما يقول أيضًا إن ما يزرعه الإنسان «إياه» هو الذي سيحصده (غل ٦: ٧). إذا كنت أصدق الكتاب المقدس، وأنا أصدقه بالفعل، فأنا أصدق أنني مسؤولة عن الحصاد الذي تلقيته في حياتي، لأنه مبني على البذار التي أزرعها. إذا زرعنا الرحمة، سوف نحصد الرحمة. وإذا زرعنا اللطف، سوف نحصد اللطف.

كنت دائمًا أتمسك برأيي

عندما أنظر إلى السنوات الاثنتين والأربعين لزواجي من ديف، أرتعب من الأنانية التي كنت

عليها، خاصة في السنوات الأولى. ويمكنني أن أقول بكل صدق إنني لم أكن أعرف شيئًا غير ذلك؛ ففي البيت الذي تربيت فيه كانت الأنانية هي كل ما أراه، ولم يكن هناك من يعلمني شيئًا خلاف ذلك. لو كنت قد تعلمت أن أعطي بدلاً من أن آخذ، أنا متأكدة أن السنوات الأولى من زواجي كانت ستكون أفضل بكثير مما كانت عليه. ونتيجة وجود الله في حياتي، فقد رأيت أمورًا تتغير وجروحًا قديمة تشفى، لكنني ضيعت سنوات كثيرة لا يمكنني أن أستعيدها.

وعلى النقيض تمامًا من الطريقة التي تربيت بها، فقد تربى ديف في بيت مسيحي. كانت والدته امرأة تقية تصلي وتعلم أولادها أن يعطوا. ونتيجة لهذه التربية، اكتسب ديف صفات لم أكن قد رأيتها قط في حياتي كلها عندما قابلته. كان مثاله ذا قيمة هائلة بالنسبة لي. ولو لم

يكن صبورًا للغاية، والصبر هو مظهر من مظاهر المحبة، أنا متيقنة أن زواجنا لم يكن ليستمر. لكني أشكر الله أنه استمر. وبعد اثنتين وأربعين سنة من الزواج يمكنني أن أقول بصدق إنه يسير للأفضل طوال الوقت. أنا الآن أسعد من أي وقت مضى لأنني أهتم بهذه العلاقة أكثر من أي وقت مضى. وأنا أستمتع حقًا برؤية ديف وهو يفعل ما يحب، وهو أمر مخالف لكل السنوات التي كنت فيها أغضب في كل مرة لا أنفذ فيها رأيي.

كنت دائمًا أتمسك برأيي، ولم يتغير شيء إلى أن سئمت من أن حياتي كلها «تدور» حول نفسي ونفسي والمزيد من نفسي. لقد جاء يسوع لكي يفتح أبواب السجن ويحرر الأسرى (انظر إش ٦١: ١). وقد حررني من أشياء كثيرة، وأعظمها هو نفسي. لقد تحررت مني! وأنا لا زلت أنمو كل يوم في هذه الحرية، لكنني أشكر الله على أنني

أدركت أن الفرح الحقيقي لا يوجد في تحقيق ما أريده طوال الوقت.

ربما تكون أنت أيضًا مثلي، إذ لم تجد قدوة جيدة في حياتك وتحتاج إلى أن تتخلى عن بعض الأشياء التي تعلمتها في سنواتك الأولى. كن صادقًا مع نفسك: كيف تتجاوب عندما لا تحصل على ما تريد؟ هل تغضب؟ هل تتذمر وتشكو؟ هل تستطيع أن تثق في اهتمام الله بك، أم تعيش خائفًا من أنك إذا لم تهتم بنفسك لن يهتم بك أحد؟ إن صدقت أنك لابد أن تهتم بنفسك فسيؤدي بك هذا إلى الأنانية، التي تؤدي إلى الحياة البائسة. وأنا أشجعك على أن تتحول عن الأنانية اليوم وتبدأ في تقدير الآخرين والاهتمام بهم ومحبتهم بالحق.

الأنانية اختيار

يقضي معظمنا وقتًا كبيرًا في التفكير في أنفسهم والحديث عنها ووضع الخطط لها. ومع أني أعلم وأؤكد على ضرورة أن نحب أنفسنا بطريقة متوازنة، إلا أنني لا أرى أننا يجب أن نحب أنفسنا كثيرًا للدرجة التي نصبح فيها نحن مركز عالمنا، وأن يكون كل ما نهتم به هو أن نحصل على ما نريده. بالطبع يجب علينا أن نعتني بأنفسنا لأن لنا قيمة كبيرة في خطة الله على الأرض، فقد أعطانا الحياة لكي نستمتع بها (انظر يوحنا ١٠: ١٠). ولذلك يجب أن نفعل ذلك، لكننا لا يجب أن نفشل في إدراك أن الطريق الحقيقي للسعادة هو أن نقدم حياتنا، لا أن نحاول الحفاظ عليها لأنفسنا.

يقول يسوع إننا إذا كنا نريد أن نكون تلاميذه، فيجب علينا أن ننسى أنفسنا، وألا نعود نرى أنفسنا ومصالحنا، ونتبعه (انظر مر ٨: ٣٤). أنا أعترف أن هذه

الفكرة مخيفة، لكنني أعرف ميزاتها لأنني عشت من الحياة ما يكفي ليجعلني أجرب هذه الفكرة، وقد وجدت أنها ناجحة. يقول يسوع أيضًا إننا إذا تخلينا عن الحياة «السفلى» (الحياة الأنانية)، يمكننا أن نحصل على حياة «أعلى» (حياة غير أنانية)، لكن إذا احتفظنا بالحياة السفلى سنخسر الحياة العليا (انظر مر ٨: ٣٥). وهو يمنحنا حرية اختيار الكيفية التي نعيش بها، فهو يخبرنا بالطريقة الناجحة ثم يسمح لنا أن نقرر أن نتبعها أم لا. يمكنني أن أظل في الأنانية وأنت أيضًا كذلك، لكن الأخبار السارة هي أننا لسنا مضطرين للبقاء فيها. فلدينا قوة الله التي تساعدنا أن نتغلب على ذواتنا، وأن نعيش بهدف تحسين حياة شخص آخر.

الرحلة

الأنانية ليست سلوكًا نتعلمه، بل إننا مولودون بها. إنها جزء فطري داخل طبيعتنا.

ويشير الكتاب المقدس إليها على أنها «الطبيعة الخاطئة». أخطأ آدم وحواء إلى الله وفعلا ما أوصاهما ألا يفعلاه. وقد انتقل مبدأ الخطية الذي أسساه إلى كل شخص مولود إلى الأبد. أرسل الله ابنه يسوع لكي يموت عن الخطايا، ويخلصنا منها. لقد جاء ليمحو أثر ما فعله آدم. وعندما نقبل الرب يسوع مخلصًا لنا، يأتي إلى حياتنا في أرواحنا. وإذا سمحنا للجزء المتجدد منا أن يسود على قراراتنا، سوف نتغلب على الطبيعة الخاطئة التي هي في جسدنا. هذه الطبيعة لا تزول، لكن الشخص الأعظم الذي يسكن فينا يساعدنا على أن نتغلب عليها بصفة يومية (انظر غل ٥: ١٦). هذا لا يعني أننا لا نخطئ أبدًا، بل أننا يمكن أن نتحسن ونتقدم طوال حياتنا.

لا يمكنني بالتأكيد أن أقول إنني قد تغلبت على الأنانية بالكامل، وأنا أشك أن هناك شخصًا

ما يمكنه أن يقول هذا. فهذا يعني أن نقول إننا لا نخطئ أبدًا، إذ أن الخطايا كلها أصلها هو نوع ما من الأنانية. لم أتغلب على الأنانية بالكامل، لكن عندي رجاء أن أتقدم كل يوم. أنا في رحلة، وبالرغم من أنني قد لا أصل، فقد عزمت على أنه عندما يأتي يسوع ليأخذني إلى وطني، يجدني أسعى نحو الغرض (انظر في ٣: ١٢-١٣). قال الرسول بولس: «فَأَحْيَا لاَ أَنا بْل اَلْمَسَيحَ (المسيا) يَحَيَا فيَّ» (غل ٢: ٢٠). كان بولس يعني أنه لم يعد يحيا لنفسه ومشيئته، بل لله ومشيئته. لقد تشجعت كثيرًا ذات يوم عندما اكتشفت من خلال دراستي أن بولس قال هذه العبارة بعد عشرين سنة تقريبًا من تجديده. لقد كانت الحياة الخالية من الأنانية رحلة بالنسبة له، كما هي بالنسبة لأي شخص آخر. قال بولس أيضًا: «أَمُوتُ كُلَّ يَوْمٍ (أواجه الموت كل يوم، وأموت عن

ذاتي)» (١كو ١٥: ٣١). بمعنى أن تقديم الآخرين على نفسه كان معركة يومية وتتطلب قرارات يومية. يجب على كل منّا أن يقرر كيف يعيش وما يعيش لأجله. ولا يوجد وقت أفضل لهذا من الآن. أنت وأنا لدينا حياة واحدة نعيشها وحياة واحدة نقدمها، لذلك فإن السؤال هو: «كيف إذًا سنحيا؟». أنا أؤمن بشدة أنه إذا أدى كل منّا دوره في إيثار الغير على نفسه، عندها يمكن أن نرى ثورة لها إمكانية تغيير العالم وحينئذٍ سنكون جزءًا منها.

ليس هناك بين البشر من هو جزيرة مكتفية بذاتها

لابد أننا كلنا سمعنا هذه العبارة الشهيرة للشاعر «جون دون»: «ليس هناك بين البشر من هو جزيرة مكتفية بذاتها». هذه الكلمات هي ببساطة تعبير عن حقيقة أن الناس يحتاجون

بعضهم البعض، ويؤثرون بعضهم على بعض. وكما أثرت حياة والدي عليَّ بطرق سلبية، وأثرت حياة ديف عليَّ بطرق إيجابية، فإن حياتنا يمكن أن تؤثر وهي بالفعل تؤثر على الآخرين. لقد أوصانا يسوع أن نحب بعضنا بعضًا لأن هذه هي الطريقة الوحيدة التي يعرف بها العالم أن يسوع موجود (انظر يو ١٣: ٣٤-٣٥). الله محبة، وعندما نُظهر محبتنا بكلماتنا وأفعالنا، فإننا نظهر للناس طبيعة الله. قال بولس إننا سفراء الله، وممثلوه الشخصيون، وأنه يخاطب العالم من خلالنا (انظر ٢كو ٥: ٢٠). كل مرة أفكر فيها في هذا النص الكتابي لا يسعني إلا أن أقول «يا لعظمة هذا الامتياز وهذه المسؤولية».

أحد الدروس التي تعلمتها في الحياة هو أنني لا يمكن أن أحصل على الامتياز بدون المسؤولية. وهذه احدى المشكلات في مجتمعنا اليوم،

فالناس يرغبون في ما لا يريدون أن يحصلوا عليه عن استحقاق! الأنانية تقول: «أعطني إياه. أنا أريده، وأريده الآن». لكن الحكمة تقول: «لا تعطني أي شيء لم أصل بعد للنضج الذي يُمَكِّنني من التعامل معه بشكل صحيح». العالم يفتقر إلى الامتنان، وهذا يرجع بنسبة كبيرة إلى أننا لم نعد نريد أن ننتظر أو نضحي لأجل أي شيء. لقد وجدت أن الأشياء التي أشكر عليها كثيرًا، هي الأشياء التي كان عليَّ أن أعمل بأقصى جهدي وأنتظرها لأطول وقت. الأشياء التي تأتي بسهولة عادة لا تمثل لنا قيمة كبيرة.

لقد أصبحنا بطرق كثيرة نربي جيلاً من الأطفال ليصبحوا أنانيين لأننا نعطيهم أشياء كثيرة ونعطيها لهم بسرعة. كثيرًا ما نشتري لهم دراجة قبل أن يستطيعوا ركوبها بسنة، أو سيارة عندما يصلون لسن السادسة عشرة.

نحن نسدد مصروفات الجامعة لهم، ونشتري لهم بيوتًا عندما يتزوجون، ونملأ منازلهم بالأثاث الفاخر. ثم عندما ينتهي الحال بأولادنا إلى الوقوع في مشكلة مالية، إذا كان ممكنًا سنخرجهم منها، ونكون معهم في كل وقت يحتاجوننا فيه. نحن نفعل هذه الأشياء باسم المحبة، لكن هل نحن بالفعل نحب أولادنا أم أننا فقط ندللهم؟ أحيانًا يكون السبب وراء قيام الآباء والأمهات بمثل هذه الأمور، هو أنهم يحاولون بذلك أن «يدفعوا ثمن» الوقت الذي لم يقضوه مع أولادهم عندما كانوا صغارًا. فإعطاء أولادهم أشياء كثيرة يخفف من شعورهم بالذنب، وسيكون إلقاء المال عليهم إذا كان هذا ممكنًا، أمرًا سهلاً عندما يكون للوالدين حياة منشغلة.

كلنا نحب أن نبارك أولادنا، لكننا لابد أن نمارس الانضباط في مقدار ما نفعله لأجلهم. ينصحنا

الملك سليمان أن نستخدم «تأديب المعرفة» (انظر أم ١: ٣). في بعض الأوقات قد تكون كلمة «لا» هي أفضل عطية يمكن أن نقدمها لأولادنا لأنها تساعدهم على أن يتعلموا الدروس القيمة الكامنة في الامتياز والمسؤولية.

قدوة السخاء

كن قدوة في حياة السخاء، ليس فقط أمام أولادك، بل أيضًا أمام كل من تتعامل معهم. إذا كنت تعطي بدلاً من أن تأخذ في حياتك، فسرعان ما سيدرك الآخرون أنك مختلف عن الناس الذين يعرفونهم. وعندما يرون فرحك، قد يستطيعون أن يوصلوا بين النقاط ويدركوا أن العطاء يجعل الشخص سعيدًا أكثر من الأنانية. الناس يراقبون، وأنا أندهش مما يلاحظونه ويتذكرونه.

قال بولس إنك يجب أن تجعل كل الناس يعرفون ويرون عدم أنانيتك، ومراعاتك للآخرين، وروحك

المحمولة (في ٤: ٥). وقد شجعنا يسوع على أن نجعل كل الناس يرون أعمالنا الصالحة المحِبة فيعرفوا الله ويمجدوه (انظر مت ٥: ١٦). لم يكن يسوع يقصد أننا يجب أن نتباهى أو نفعل أشياء بغرض أن يرانا الناس، لكنه كان يشجعنا أن ندرك مدى تأثيرنا على الناس من حولنا. بالتأكيد تؤثر السلوكيات السلبية على الآخرين، لكن السخاء أيضًا يؤثر على من حولنا بطرق إيجابية للغاية ويجعلنا سعداء.

وماذا عني؟

في هذه اللحظة قد تفكر قائلاً: «وماذا عني؟ من الذي سيفعل شيئًا لي؟» وهذا عادة هو ما يمنعنا من أن نعيش بالطريقة التي يريدنا الله أن نعيش بها. فالأمر دائمًا يعود «عليّ». وماذا عني، ماذا عني، ماذا عني؟ لقد اعتدنا أن نرى إشباع رغباتنا لدرجة أن مجرد فكرة أن ننسى أنفسنا

حتى ولو ليوم واحد أصبحت فكرة مخيفة. لكن إذا استطعنا أن نستجمع شجاعتنا ونحاول، سوف نُدهش من الحرية والفرح اللذين سنختبرهما.

لقد قضيت معظم حياتي أستيقظ كل صباح وأبقى في سريري أضع خططًا لنفسي. كنت أفكر في ما أريده، وما سيكون الأفضل بالنسبة لي، وكيف يمكنني أن أقنع أسرتي وأصدقائي بالتعاون معي في خططي. كنت أنهض وأواصل يومي مع نفسي برأيي. وكل مرة كانت الأمور فيها لا تسير بطريقتي، كنت أشعر بالضيق ونفاذ الصبر والإحباط بل وبالغضب أيضًا. كنت أظن أنني تعيسة لأنني لم أكن أحصل على ما كنت أريد، لكنني كنت في الحقيقة تعيسة لأن كل ما كنت أفعله هو أنني كنت أحاول أن أحصل على ما كنت أنا أريده بدون أي اهتمام حقيقي بالآخرين.

والآن وأنا أكتشف أن سر الفرح هو في أن أقدم حياتي بدلاً من أن أحاول الاحتفاظ بها، فقد اختلفت أوقات الصباح لديّ. هذا الصباح قبل أن أبدأ العمل في هذا الفصل، صليت ثم قضيت وقتًا في التفكير في كل الناس الذين أعرف أنني سأتعامل معهم اليوم. ثم صليت بما جاء في (رومية ١٢: ١) والذي يتحدث عن تكريس أنفسنا لله كذبائح حية، مقدمين كل إمكانياتنا له لكي يستخدمها. وبينما كنت أفكر في الناس الذين سأعمل معهم أو ربما أراهم اليوم، طلبت من الله أن يظهر لي أي شيء يمكنني أن أفعله لهم. لقد قررت أن أشجعهم وأمدحهم. بالتأكيد يمكننا كلنا أن نجد شيئًا واحدًا لطيفًا نقوله لكل شخص نقابله. أنا أثق أن الله سيقودني أثناء يومي.

إذا كنت تريد أن تكرس نفسك لله لكي يستخدمك لتحب الآخرين وتساعدهم، أقترح

عليك أن تصلي هكذا: «يا رب، أنا أقدم لك عينيَّ، وأذنيَّ، وفمي، ويديَّ، وقدميَّ، وقلبي، ونقودي، ومواهبي، ومهاراتي، وقدراتي، ووقتي، وطاقتي. استخدمني لأكون بركة أينما توجهت اليوم».

«يا رب، أنا أقدم لك عينيَّ، وأذني، وفمي، ويديَّ، وقدميَّ، وقلبي، ونقودي، ومواهبي، ومهاراتي، وقدراتي، ووقتي، وطاقتي. استخدمني لأكون بركة أينما توجهت اليوم».

لن تعرف أبدًا فرحة الحياة بهذه الطريقة إلا إذا جربتها. أنا أسمي هذا «العادة المقدسة» وهي تشبه كل العادات في أنها يجب ممارستها لكي تصبح عادة. في بعض الأيام، أظل منشغلة للغاية بنفسي وأنسى أن أمارس هذه العادة الجديدة، لكنني سرعان ما أتذكر عندما أفقد فرحي وحماسي للحياة أنني قد خرجت عن المسار الصحيح.

حاولت لسنوات عديدة أن أعيش بهذه الطريقة، وكانت بمثابة معركة، لأن «حياة الذات» محفورة بعمق في كل نسيج من كياننا، ولا تموت بسهولة. فقرأت كتبًا عن المحبة، وراجعت مرات ومرات ما يقوله الكتاب المقدس عنها، وصليت لأجلها. تحدثت عنها مع الأصدقاء، ووعظت عنها، وفعلت كل ما يمكنني لكي تظل سائدة في تفكيري. في بعض الأوقات عندما أدرك أنني أصبحت أنانية مرة أخرى، لا أتضايق، لأن شعوري بالضيق من نفسي يبقيني مركزة على نفسي. عندما أفشل، أطلب من اللّٰه أن يسامحني وأبدأ من جديد. وأنا أرى أن هذه هي أفضل طريقة. نحن نقضي أوقاتًا كثيرة جدًا في الشعور بالسوء من أنفسنا بسبب الأخطاء التي ارتكبناها - وهذه مضيعة للوقت. اللّٰه وحده يمكن أن يسامحنا، وهو مستعد أن يفعل هذا إذا كنا فقط نطلب منه.

نعم، أنا أؤمن بشدة أن جذور مشكلة العالم هي الأنانية، لكننا يمكن أن نعيش في العالم ونرفض أن نكون مثل العالم. إذا قررت أن تنضم إليَّ في بدء ثورة محبة، إذا قررت أن تغير اتجاهك بشكل كامل وجذري في الطريقة التي تحيا بها، وأن تبدأ بقوة في أن تعيش لكي تُحِب لا أن تُحَب، عندها يمكن أن تكون جزءًا من الحل بدلاً من أن تكون جزءًا من المشكلة. هل أنت مستعد أن تبدأ؟

ما من شيء صالح يحدث بالصدفة

«أنا ساهر على كلمتي لأجريها»

إرميا ١: ١٢

لم تحدث أية ثورة من الثورات التي غيرت العالم بالصدفة. في بعض الأحوال كانت الثورات تبدأ بأناس قليلين يناقشون التغييرات التي يجب أن تحدث. وسواء كانت هذه الأحداث المغيرة للتاريخ قد نبعت من شعور عام بعدم الارتياح أو من ثورة مخططة جيدًا، فهي لم تحدث من تلقاء ذاتها. بل كانت أحداثًا متعمدة ومقصودة وحماسية واستراتيجية. لقد بدأت لأن شخصًا ما رفض أن يظل لا يفعل شيئًا. كان هناك شخصٌ ما رفض أن «يترك الأمور تتكشف من ذاتها». شخصٌ ما رفض أن يكون سلبيًا وعاطلاً بينما يتفشى الظلم. فالثورات تحدث لأن شخصًا ما يقرر أن يتحرك.

تحرك الآن!

الكتاب المقدس مليء بالوصايا التي تحثنا أن نكون نشطين وفعالين. وفي حين أن الوصية أن نكون فعالين لا سلبيين تعتبر وصية بسيطة، إلا أن الملايين من الناس يتجاهلونها تمامًا. ربما يظنون أن الأمور ستتحسن من تلقاء نفسها، لكن هذا لن يحدث. فما من شيء جيد يحدث بالصدفة. بمجرد أن تعلمت ذلك، تغيرت حياتي للأفضل.

إن مجرد تمني أن يحدث شيء ما، لن يؤدي إلى النتائج التي نرغب فيها، إذ يجب أن نفعل بقوة ما يجب فعله لكي نحقق هذه النتائج. لن نجد أبدًا رجلاً ناجحًا قضى حياته في تمني النجاح ووصل إليه. ولن نجد أبدًا رجلاً لم يفعل شيئًا لكنه بطريقة ما أصبح ناجحًا. وهذا المبدأ نفسه

ينطبق على المشاركة في ثورة المحبة. إذا كنا نريد أن نحب الناس كما علمنا يسوع، سيكون علينا أن نفعل هذا عن عمد، فهو أمر لن يحدث بالصدفة.

يقول الكتاب المقدس إننا يجب أن نحرص أن نكون لطفاء وأن نفعل الخير (انظر ١تس ٥: ١٥). وكلمة انظروا كلمة قوية تعني «الاشتياق، والسعي، والطلب». إن كنا نتحين الفرص فلابد أننا سنجدها، وسوف يحمينا هذا من أن نكون بطالين وغير مثمرين. يجب أن نسأل أنفسنا هل نحن متيقظون وساهرون أم سلبيون وعاطلون؟ اللّٰه نفسه ساهر وفعال! وأنا مسرورة أنه هكذا، وإلا كانت الأمور في حياتنا ستتدهور بسرعة. اللّٰه لم يكتف بخلق العالم وكل ما نراه ونستمتع به، لكنه أيضًا يحفظ هذا العالم، لأنه يعرف أن الأمور الصالحة لا تحدث هكذا فحسب، بل تحدث نتيجة التصرف الصحيح (انظر عب ١: ٣).

ذلك النشاط المتوازن الذي يأتي من الله يحفظنا من أن نكون عاطلين وغير مثمرين، وبالتالي يعمل كحماية لنا. فالبقاء في حالة النشاط وفعل الأشياء الصحيحة سوف يمنعنا من فعل الأشياء الخاطئة. يبدو أنه ليس علينا أن نبذل أي جهد لكي نفعل ما هو خطأ، فإن طبيعتنا الطبيعية تنحرف إلى هذا الاتجاه إذا لم نختر أن نفعل ما هو صواب.

على سبيل المثال، ليس علينا أن نختار المرض، فكل ما علينا فعله هو أن نقترب منه، وعندها سوف نلتقطه. لكننا يجب أن نختار الصحة. الجسد السليم يعني أنني يجب أن أختار باستمرار الاختيارات الجيدة من حيث التدريبات الرياضية والنوم والتغذية. لابد أن أختار ألا أقلق أو أتوتر، لأنني أعرف أن هذا سيجعلني أتعب وربما يسبب لي بعض الأعراض الجسدية الأخرى. الجسد

السليم يعني أنني يجب أن أستثمر صحتي بشكل فعال، لكنني يمكن أن أمرض بسهولة عن طريق عدم فعل أي شيء للعناية بنفسي.

الجسد كسول

يعلمنا الرسول بولس بكل وضوح أن الجسد كسول، وشهواني، ويرغب في أمور خاطئة كثيرة (انظر رو ١٣: ١٤). أشكر الله أننا لسنا جسدًا فقط، بل لدينا أيضًا روح، وهذا الجزء الروحي من الإنسان المسيحي هو الذي تسكن فيه طبيعة الله. الله صالح، وحقيقة أنه يعيش فينا تعني أنه يوجد صلاح فينا. يمكننا بأنفسنا أن ننضبط ونسود على الجسد - لكن هذا يتطلب مجهودًا، فهذا يتطلب التعاون مع الروح القدس الذي يقوينا ويمكننا من أن نفعل الأمور الصالحة. يقول بولس إننا يجب ألا نغذي الجسد، وأنا أرى أن احدى الطرق

التي يمكننا بها أن نغذي الجسد هي ببساطة ألا نفعل شيئًا!

وعدم فعل أي شيء هو سلوك إدماني؛ فكلما زاد عدم فعلنا لأي شيء، زادت رغبتنا في ألا نفعل أي شيء. أنا على يقين أنك قد اختبرت من قبل البقاء في المنزل طوال اليوم، ووجدت أنك كلما بقيت هناك أكثر، أصبح من الأصعب عليك أن تنهض. عندما تنهض في البداية تشعر وكأن كل شيء متيبس ومتعب، لكن عندما تواصل الضغط على نفسك للتحرك، ترجع إليك طاقتك.

هذا الصباح استيقظت بمزاج سيئ إلى حد ما. فقد عملت بجهد طوال عطلة نهاية الأسبوع في مؤتمر، ولازلت متعبة قليلاً. بالإضافة إلى ذلك، فقد تعرضت لإحباط شخصي من جهة شيء ما كنت أتمناه. كنت أرغب في الاستلقاء على

الأريكة والشعور بالأسف على نفسي طوال اليوم، لكن بما أن لي خبرة من السنوات التي كنت فيها أفعل هذا ووجدت أنه أمر عقيم، فقد قررت أن أختار اختيارًا آخر. لقد قررت أن أبدأ في كتابة هذا الكتيب بنشاط. كانت هذه هي طريقتي في الحرب ضد ما شعر به جسدي! كلما كتبت لمدة أطول، شعرت أنني أفضل.

في المواقف التي يغرينا فيها جسدنا أن نكون كسالى، يمكننا أن نبدأ في التغلب عليه من خلال طلب مساعدة الله واتخاذ قرارات حاسمة أي من خلال النشاط وليس الخمول. وبينما نتقدم ونتصرف بموجب قراراتنا، سنجد أن مشاعرنا تلحق بقراراتنا. لقد أعطاني الله روح الانضباط والتحكم في النفس للأيام التي تشبه هذا اليوم، لكن الأمر متروك لي أن أختار إذا كنت سأستخدم ما أعطاه لي أو أتبع فقط طرق الجسد.

كتب بولس أيضًا عن «المسيحيين الجسديين» الذين هم أشخاص قبلوا الرب يسوع المسيح مخلصًا لهم، لكنهم لم يعملوا أبدًا مع الروح القدس على تنمية نضوجهم الروحي. في (١كورنثوس ٣: ١-٣) قال بولس للمسيحيين إنه اضطر أن يكلمهم كأناس غير روحيين وكجسديين تسود فيهم الطبيعة الجسدانية. بل إنه لم يستطع حتى أن يعلِّمهم التعاليم القوية، بل اضطر أن يلتزم بما سماه «رسائل اللبن العقلي». وقد قال إنهم غير روحيين لأنهم سمحوا للنزوات العادية أن تتحكم فيهم. هل تسمح لنزواتك العادية أن تتحكم فيك؟ لقد تعرضت اليوم لإغراء أن أسمح لنزواتي العادية أن تتحكم فيَّ، وللأمانة أقول إنني قد أظل أقاوم هذا الإغراء طوال اليوم عن طريق البقاء في نشاط، وفعل شيء ما أثق أنه سوف يأتي

بثمر جيد. لا يمكنني أن أتحمل تكلفة الاستسلام لمشاعري لأنه ليس لديَّ يوم لأضيعه.

السلبية ليس لها مجازاة

لا يمكن لأي منّا أن يتحمل تكلفة ضياع الوقت في الجلوس وعدم فعل أي شيء. الله لا يكافئ السلبية؛ فالسلبيون لا يستخدمون إرادتهم الحرة لفعل ما يعلمون أنه صواب، بل ينتظرون أن يشعروا بالرغبة في فعل شيء ما أو أن تدفعهم قوة خارجية غامضة. وهم يتمنون أن يحدث شيء جيد، خاصة لهم، وأثناء انتظارهم ليروا هل يحدث هذا الشيء الجيد أم لا، يتمسكون بعدم عمل أي شيء. لكن الله لا يثني على هذا الموقف، فهو في الواقع في غاية الخطورة.

إن قرارك ألا تفعل شيئًا هو قرار على أية حال، وهو القرار الذي يضعفنا أكثر فأكثر، فهو يعطي

الشيطان فرصة أكبر ليتحكم فينا. فالمساحة الخالية هي في واقعها مكان، وكلمة اللّٰه تعلمنا أنه إذا أتى الشيطان ووجد فراغًا سوف يشغل بسرعة هذه المساحة (انظر مت ١٢: ٤٣-٤٤). عدم العمل يشير إلى أننا نتفق مع ما يحدث ونوافق عليه أيًا كان. فإذا كنا لا نفعل شيئًا لتغيير ما يحدث، فلابد أننا نرى أنه أيًا كان ما يحدث فهو جيد.

افعل شيئًا

في رحلاتنا التبشيرية لخدمة المعوزين، اصطحبنا العديد من الناس، لكنهم لم يتجاوبوا بطريقة واحدة. الجميع شعروا بالتعاطف عندما رأوا الظروف الرهيبة التي يعيش فيها الناس في القرى البعيدة في إفريقيا والهند أو أجزاء أخرى من العالم. الكثيرون بكوا، والغالبية شعروا بالغضب من هذه الأحوال المروعة، لكن لم يقرر الجميع أن يفعلوا شيئًا لتغيير هذه الأوضاع.

الكثيرون صلوا إلى الله لكي يفعل شيئًا، وكانوا مسرورين أن خدمتنا تقدم شيئًا لهؤلاء الناس، لكنهم لم يفكروا أبدًا في أن يسألوا الله بجدية عما يمكنهم هم أن يفعلوه. بل أجرأ وأقول إن معظمهم عادوا لبيوتهم وانشغلوا بحياتهم مرة أخرى، وسرعان ما نسوا ما رأوه. لكن أشكر الله أن هناك البعض الذين صمموا على أن يجدوا طرقًا يصنعون بها اختلافًا. تذكر أن اللامبالاة تختلق الأعذار، لكن المحبة تجد طريقًا. كل إنسان يمكنه أن يفعل شيئًا ما!

> تذكر أن اللامبالاة تختلق الأعذار، لكن المحبة تجد طريقًا.

أتذكر امرأة قررت أنها يجب أن تساعد بطريقة ما. وظلت لفترة ما لا تستطيع أن تحدد ما تفعله، إذ لم تكن لديها أموال إضافية تتبرع بها، ولم

تستطع أن تذهب لتعيش في حقل مرسلي. لكن بينما استمرت تصلي لأجل هذا الموقف، شجعها الله أن تبحث في ما تمتلكه، وليس في ما لا تمتلكه. فأدركت أنها تجيد خبز الكعكات والفطائر والحلوى. فسألت راعيها إن كان يمكنها أن تخبز هذه الأصناف أثناء عطلة نهاية الأسبوع وتعرض منتجاتها للبيع في أيام الآحاد بعد الكنيسة على أن يتم توجيه الأموال إلى الإرساليات. وأصبحت هذه هي طريقتها هي وأعضاء آخرين في الكنيسة للمشاركة في الإرساليات، وقد حفظها هذا في حالة من النشاط والعمل لمساعدة أشخاص آخرين.

أعرف أيضًا سيدة كانت تشتاق إلى أن تفعل شيئًا لدرجة أنها قامت بقص شعرها الطويل الجميل وباعته لكي تساعد الأيتام. قد يبدو هذا مبالغًا فيه بعض الشيء - لكن ما يمكنني أن

أقوله عن يقين هو أنه أفضل بكثير من عدم فعل أي شيء. إن عدم فعل أي شيء هو أمر خطير، لأنه يفتح الأبواب للشيطان لكي يكون عاملاً في حياتنا.

امرأة أخرى قابلتها في عيادة للعلاج الطبيعي، وبعد أن حضرت مؤتمرًا كنت أتكلم فيه عن حاجتنا لأن نصل إلى الآخرين، نظمت يومًا خاصًا للعلاج الطبيعي وقررت تخصيص العائد كله لمساعدة الفقراء. وقد جمعت ألف دولار للإرساليات، وشهدت أيضًا أن يوم العطاء هذا كان يومًا مغيرًا لحياتها ولحياة من حضروا. وقد شهدت عن مقدار الحماس الكبير الذي شعر به الجميع في العمل معًا لمساعدة الفقراء والمحتاجين.

كلنا نحتاج إلى أن نُحَب، لكنني أؤمن أن فرحنا الشخصي يرتبط بقوة بمحبتنا نحن للآخرين.

هناك شيء جميل يحدث في قلوبنا عندما نعطي.

الخمول يرحب بالعدو

من السهل أن نستلقي على الأريكة أو أن نضطجع في وضع الاسترخاء ونطلب أن يهتم الله بكل ما يجب عمله. لكن هذا يجعلنا عاطلين وغير مثمرين ومكشوفين لهجمات العدو. إذا كانت أذهاننا خالية من الأفكار الجيدة، سيسهل على العدو أن يغرينا لعمل أمور غير صحيحة، بل والأمور التي تعتبر خطية أيضًا. يحثنا الكتاب المقدس كثيرًا أن نكون نشطين لأن هذا يحفظنا من الكسل وعدم الإثمار. إذا فكرنا جيدًا في ما يمكننا عمله للآخرين، لن يكون هناك مجال في عقولنا للأفكار الخاطئة.

يمكن أن يشعر العاطلون بسهولة بالإحباط والاكتئاب والشفقة على النفس، ويمكن أن

يسقطوا في كل أنواع الخطية. بل إن الرسول بولس قال إنه إذا ترملت امرأة وهي شابة، فيجب أن تتزوج مرة أخرى. وإلا قد تتحول إلى ثرثارة وفضولية (انظر ١تي ٥: ١١-١٥). بل زاد بولس على ذلك إذ قال إن بعض الشابات الأرامل نظرًا لكونهن غير عاملات قد انحرفن بالفعل وراء الشيطان. إلى أي مدى يعتبر النشاط أمرًا مهمًا؟ أرى أن كتابات بولس تؤكد على أنه أمر مهم للغاية.

في الحقيقة يشجعنا الله بطول الكتاب المقدس ألا نكون خاملين أو بطالين. في أيام العهد القديم، إذا مات شخص ما، كان مسموحًا للإسرائيليين أن يحزنوا عليه لمدة ثلاثين يومًا فقط (انظر تث ٣٤: ٨). في البداية ربما يبدو هذا الأمر أنه لا يراعي مشاعر الناس، لكن الله وضع هذه الشريعة لأنه يعرف أن التمادي في الحزن وإهمال العمل يمكن أن يؤدي إلى مشكلات خطيرة.

يجب أن نظل نشطين - ولا أقول إلى درجة الإفراط لئلا نذبل - لكن للدرجة التي تبقينا في الاتجاه الصحيح. التوازن أمر مهم جدًا. لا يمكننا أن نقضي وقتنا كله في مساعدة الآخرين، لكن من الناحية الأخرى، فإن عدم قضاء أي وقت بهذه الطريقة يخلق مشكلات كبيرة. إذا كنت تفكر في شخص ما تعرفه وهو غير عامل، وغير نشيط، وسلبي، ربما تدرك أيضًا أنه في غاية التعاسة لأن الخمول وقلة الفرح أمران متلازمان.

منذ عدة سنوات، انتقلت عمتي للعيش في تجمع سكني خاص بكبار السن. وطوال السنوات الثلاثة أو الأربعة الأولى كانت لا تريد أن تفعل شيئًا. كانت حزينة لأنها اضطرت أن تترك بيتها، ولم تكن لها رغبة في المشاركة في الحياة الجديدة التي أتيحت لها. وبالرغم من أنه كانت أمامها أنشطة وفرص كثيرة يمكن من خلالها أن تساعد

الآخرين، إلا أنها أصرت على ألا تفعل شيئًا. كانت تجلس يومًا بعد يوم في شقتها شاعرة بالإحباط. ساءت حالتها الجسدية، وأصبح من الصعب التعامل معها. وأخيرًا قررت أنها لا يمكنها أن تجلس هكذا وألا تفعل أي شيء، فاشتركت في مجموعة لدراسة الكتاب المقدس وزيارة المرضى في مستشفى المسنين التي كانت بجوار التجمع السكني. أصبحت تمارس الألعاب، وتذهب إلى الحفلات، وتكوِّن صداقات كثيرة. وسرعان ما أخبرتني أنها أصبحت أسعد مما كانت من قبل في حياتها وأنها تشعر أن صحتها ممتازة.

إن حالة الشخص الخامل تسير من سيئ إلى أسوأ إلى أن يبدأ الخمول في التأثير على كل منطقة من حياته. لأنه بهذه السلبية يسمح لنفسه أن تتقاذفها الظروف والبيئة المحيطة به. فهو يسمح لمشاعره أن تقوده، وبما أنه لا يرغب

أبدًا في أن يفعل أي شيء، فهو يكتفي بالمشاهدة والشكوى بينما تنهار حياته. وهو يريد أن يفعل أمورًا كثيرة، لكنه غارق في شعور لا يمكن وصفه. فهو يشعر بالكسل، وليست لديه أفكار إبداعية، بل إنه ربما يبدأ في التفكير أن هناك خطأ ما في جسده وأن هذا هو سبب افتقاره إلى الطاقة. وتصبح الحياة بالنسبة له سلسلة من المشكلات التي لا يمكن التغلب عليها.

كثيرًا ما نسمح لأنفسنا بالخمول بعد أن نمر بتجربة فشل أو سلسلة من الإحباطات، أو عندما تحل بنا مأساة، وهذا ما سوف أتناوله في نهاية هذا الفصل. عندما تحدث مثل هذه الأمور، ربما نريد أن نستسلم، لكن إذا فعلنا ذلك يكون إبليس منتظرًا أن يثب علينا مستغلاً هذا الموقف. لا يمكننا لأي سبب من الأسباب أن نترك السلبية تفسح المجال للعدو في حياتنا.

النشاط يساعدني أن أتغلب على الأيام السيئة

بالرغم من أنني أواجه اليوم «يومًا سيئًا»، فهناك الملايين في العالم الذين يظنون أن يومي هذا يعتبر احتفالاً بالمقارنة بما يواجهونه هم. فعلى مدار أكثر من عشرين عامًا ظل جيش المتمردين في شرق إفريقيا يستعبد الأطفال عن طريق إجبارهم أن يكونوا جنودًا في حرب أشعلها أفراد ميليشيا العصابات الذين كانت لهم الجرأة أن يسموا أنفسهم «جيش الرب للمقاومة». هذه العصابات ترهب الجزء الشمالي من أوغندا، فهم يخطفون الأطفال الصغار حتى في عمر السابعة ويجبرونهم أن يصبحوا جنودًا أو عبيدًا للجنس، وأن يؤدوا وظائف مهينة أخرى. بعض الإحصائيات تقول إنه تم اختطاف حوالي ثلاثين ألفًا إلى أربعين ألفًا من الأطفال. وما بدأ كتمرد ضد الحكومة

الحاكمة تحول إلى مذبحة للأبرياء على يد قائد يدَّعي أنه يريد أن يخلق مجتمعًا مبنيًا على الوصايا العشر، في حين أنه ينتهك كل وصية منها.

هذا الرجل، «جوزي كوني»، كان قبلاً خادم كاهن في الكنيسة الكاثوليكية. والآن يحاول الخلط بين العهد القديم والقرآن والطقوس القبلية لكي يضع عقيدته الخاصة. كانت تكتيكاته وحشية. في وقت كتابة هذا الكتاب تم عقد هدنة وإطلاق سراح الكثير من الأطفال، لكن في كثير من الأحيان يكون آباء هؤلاء الأطفال وأمهاتهم قد قُتِلوا، ولم يعد لهم بيت يرجعون إليه. معظم الأطفال أُجبروا على تعاطي المخدرات وأصبحوا مدمنين. لقد أُجبروا على ارتكاب أعمال عنف لا تصدر عن الكبار، ومع ذلك يفعلها الأطفال. لقد أُجبر الأطفال الصغار على أن يطلقوا النار على

عائلاتهم بالكامل. فماذا يفعلون الآن؟ يتجولون في الطرق ملوئين بالغضب محاولين أن يجدوا طريقة ينسوا بها ما فعلوه. سوف يحتاجون إلى المساعدة، ويمكنني أن أصلي إلى الله اليوم أن يستخدمني. يمكنني أن أحول تفكيري عن نفسي عن عمد، وأن أفكر في أشخاص مثل هؤلاء الذين وصفتهم للتو، وأن أفكر في أشخاص يعانون من مشكلات حقيقية.

لازلت أتذكر نظرات اليأس المرسومة على وجوه الناس والتي رأيتها عندما حظيت بامتياز السفر إلى أوغندا. ويمكنني أن أستمر في بذل كل جهد لأرسل المعونة لهم. يمكنني أن أتخيل محاولة رسم بسمة على وجوههم بدلاً من الغضب الذي رأيته عندما زرتهم أولاً. يمكنني أن أتخيل ما يمكن أن تصبح عليه حياتهم بعد أن نساعدهم في بناء قرية جديدة يمكنهم فيها أن يجدوا آباء

وأمهات بالتبني، وطعامًا جيدًا، ومحبة، وتعليمًا، ومعرفة سليمة أيضًا عن يسوع وعن خطته لحياتهم.

الجندي الطفل

«من فضلك يا رب، لا أريد المزيد من القتل. ليس اليوم. لا يمكنني أن أشاهد المزيد». كانت هذه هي صلاته.

كان «ألان» يسمع من على بُعد أصوات الصرخات والقذائف المدوية من المدافع، فيصيبه الرعب والفزع. إنه يعرف جيدًا جدًا ما تدل عليه هذه الأصوات. كيف يمكنه أن ينسى؟ لقد كانت هي الأصوات ذاتها التي سمعها قبل أن يهجم الجنود على قريته ويخطفوا أمه وأباه بعنف، ويضربوهما بوحشية حتى الموت، لكي يخيفوا المختَطفين الآخرين ويجبروهم على الطاعة.

في ذلك اليوم المروع، ترك المتمردون ألان ورحلوا. لكن بعد أن اختبأ ألان ومعه خمسة أولاد آخرون بين الشجيرات لمدة أسابيع، نائمين على الأرض بدون أي طعام أو ماء، وجدهم المتمردون. كان ألان عمره سبعة أعوام فقط.

منذ اللحظة التي تم اختطافه فيها، كان يتعرض للضرب مرتين أو ثلاث مرات يوميًا ولا يحصل سوى على القليل من الطعام والماء. «انهض يا ولد، جاء الوقت لتشاهد أصدقاءك وهم يموتون»، هكذا صاح الجندي المتمرد في ألان. إنهم يجبرونه على أن يرى رغمًا عنه الجنود وهم يضربون أصدقاءه على رؤوسهم إلى أن ينطرحوا أرضًا بدون حراك في بِركة مخيفة من دمائهم. وتحت تهديد الموت، أجبره المتمردون على ارتكاب أعمال شر شنيعة أيضًا.

الليلة، عندما يتم إرسال ألان لجمع الحطب

للنار، ينوي هو أن يهرب. سوف يركض بأقصى طاقته ... سوف يركض حتى يفقد وعيه إن اضطر لذلك، فالحرية هي حلمه. ربما إذا ركض لمسافة بعيدة، سيمكنه أن يعيش لمدة يوم بدون قتل، وربما يبدأ في التعافي.

يعيش ألان حاليًا في قرية جديدة في جولو بأوغندا، وهي قرية مصمَّمَة لاستضافة الجنود الأطفال ومساعدتهم. وتقوم خدمة جويس ماير بالشراكة مع خدمات واتوتو بتنمية هذه القرية لكي تصل إلى الأطفال المتضررين.

تقول الإحصائيات:

- قام جيش الرب للمقاومة باختطاف أكثر من ثلاثين ألف طفل ليعملوا كجنود أو كعبيد للجنس في أوغندا.
- في عام ٢٠٠٧، كان هناك ما يقرب من ٢٥٠ ألف جندي طفل على مستوى العالم.

بينما كنت أقرر إذا كان يجب عليَّ أن أظل في هذه الحالة المنحدرة طوال اليوم، تلقيت رسالة إلكترونية من بعض الأصدقاء الذين خدموا الله معنا لأكثر من خمسة وعشرين عامًا، وكانت تحوي أخبارًا عن ابنهم الذي يبلغ من العمر اثنين وعشرين عامًا، والمصاب بسرطان الغدة الدرقية في مرحلة خطيرة وقاتلة. إذا نظرت فيما هو أبعد من نفسي وأدركت أن هناك الكثير الذي يحدث في العالم بخلافي، سوف أبدأ تدريجيًا في الشعور بأن انغماسي في مشكلاتي أصبح أقل، وأن شكري على بركاتي أصبح أكثر.

أندهش عندما أفكر كيف أن الكثير من مشكلاتنا مرتبط بما نفكر فيه. طالما كنت أفكر في ما كنت أريده ولم أحصل عليه، سوف تنخفض معنوياتي وتنخفض وتنخفض. لكن عندما أفكر في ما أمتلكه وفي المآسي التي

يواجهها الآخرون، أدرك أنني في الحقيقة ليست عندي مشاكل على الإطلاق. وبدلاً من أن أشفق على ذاتي، أصبح شاكرة!

أنا أشكر الله دائمًا أنه يظل يذكّرني أن أبقى عاملة وأن أفعل شيئًا جيدًا، لأننا نغلب الشر بالخير (انظر رو ١٢: ٢١). هل أساء شخص معاملتك؟ لماذا لا تصلي لأجله؟ سوف يجعلك هذا تشعر بتحسن. هل هناك شيء جعلك تشعر بخيبة الأمل؟ اطلب من الله أن يظهر لك أناسًا آخرين يشعرون بخيبة الأمل أكثر منك، وحاول أن تشجعهم. هذا سيساعدهم، وسيجعلك تشعر بتحسن في الوقت نفسه.

العالم يزداد عنفًا طوال الوقت. وبينما أنا أواصل الكتابة تلقيت رسالة أخرى - رسالة نصية تخبرني أن هناك كنيسة في مدينة أخرى تعرضت لإطلاق نار عشوائي في الليلة الماضية. مات شخصان

وأصيب خمسة أشخاص. تذكرت ما قاله الكتاب المقدس في (متى ٢٤)، عندما كان يسوع يتحدث عن علامات الأزمنة الأخيرة ويقول إنه وسط كل هذا العنف والاحتياج الشديد، ستبرد محبة معظم الناس. وهذا هو ما يجب أن نحاربه. لا يمكن أن نسمح للمحبة أن تختفي، لأننا إذا فعلنا ذلك، نكون قد سلمنا الكوكب للشر.

عندما علمت بإطلاق الرصاص على الكنيسة، كان يمكنني أن أقول «يا له من أمر محزن!». كان يمكنني أن أشعر بالسوء لمدة دقائق قليلة ثم أعود إلى إحباطاتي الشخصية. لكنني رفضت أن أفعل هذا، لأنني لن أعيش بهذا الاتجاه. بعد أن سمعت بالأزمة، فكرت لدقائق قليلة وقررت أن أطلب من ابني أن يتصل بالراعي ويرى ما يمكننا أن نفعله لنساعدهم. ربما كانت الأسر التي فقدت أحباء لها تحتاج إلى شيء، أو ربما يساعدهم أن

يعرفوا فقط أن هناك من يهتم بهم.

أتعجب عندما أفكر في المرات الكثيرة التي اجتزنا فيها أوقات صعبة ولم يكن هناك حتى من يتصل بنا. أعتقد أن الجميع يظنون أن كل الناس يفعلون ذلك، ولهذا لا يفعل أي شخص شيئًا.

مهمة من هذه؟

هذه القصة سمعتها منذ سنوات عن أربعة أشخاص أسماؤهم: «كل واحد»، و «واحد ما»، و «أي واحد»، و «ولا واحد». كان هناك عمل مهم يجب أن يتم، وكان «كل واحد» متأكدًا أن «واحدًا ما» سوف يقوم به. «أي واحد» كان يمكن أن يقوم به، لكن «ولا واحد» قام به. غضب «واحد ما» من هذا، لأنها كانت وظيفة «كل واحد». ظن «كل واحد» أن «أي واحد» يمكن أن يقوم بالعمل، لكن «ولا واحد» أدرك أن «كل واحد» لن يقوم به. وفي

النهاية، ألقى «كل واحد» باللوم على «واحد ما» عندما قام «ولا واحد» بفعل ما كان يمكن أن يفعله «أي واحد».

قرأت مرة عن حادثة مروعة تبين مبادئ هذه القصة عمليًا - مأساويًا - في الحياة الواقعية. في عام ١٩٦٤ تعرضت «كاثرين جينوفيز» لطعنة ماتت على إثرها بعد خمس وثلاثين دقيقة، بينما كان ثمانية وثلاثون من الجيران يشاهدونها. كان رد فعلهم هو البرود واللامبالاة، وهذا نتيجة الفتور والاغتراب المدني. في وقت لاحق، كشف باحث من مركز «لاتان ودارلي» أنه لم يقم أي واحد بالمساعدة، لأنه كان هناك الكثيرون الذين يشاهدون. نظر المشاهدون بعضهم لبعض متسائلين ماذا يفعلون. وبما أنه لم يكن هناك من يفعل أي شيء، فقد قرروا أنه لا يجب أن يكون هناك من يفعل أي شيء.

تقل فرصة الناس في نوال المساعدة كلما زاد عدد المتفرجين. كان هناك طالب تظاهر أنه يعاني من نوبات صرع. في ٨٥ بالمائة من المرات التي كان بجانبه شخص واحد فقط، كان يتلقى المساعدة. لكن عندما كان هناك العديد من الناس يقفون ويشاهدون، كان يتلقى المساعدة في ٣١ بالمائة فقط من المرات.

هذه الدراسة تثبت أنه كلما ازداد عدد الناس الذين لا يفعلون شيئًا، زاد عدم فعل الناس لأي شيء. لكن إذا كانت هناك ولو مجموعة صغيرة من أشخاص ملتزمين يبدأون في مد أيديهم للآخرين بالرعاية والمحبة، بالابتسامات وكلمات المدح، بالتقدير والاحترام، إلخ، يمكن لهذه الحركة أن تنمو. وهذا ما يحدث بالفعل.

لقد أثبتت الدراسات أننا نتأثر كثيرًا بما يفعله

الناس من حولنا. فنحن ننظر أحدنا إلى الآخر طلبًا للإرشاد، حتى عندما لا نعي أبدًا أننا نفعل ذلك. معظم الناس سيتفقون مع الأغلبية حتى إذا لم يوافقوا في الحقيقة، فَهُم يفعلون ذلك فقط لكي يظلوا جزءًا من المجموعة.

إذا أردنا أن نكون جزءًا من ثورة المحبة، يجب علينا كمسيحيين مؤمنين أن نكون قدوة للآخرين بدلاً من أن ننصهر في نظام العالم. إذا كان هناك من له من الجرأة دافع التحرك، أو من له من المحبة دافع المساعدة، ربما ظلت كاثرين جينوفيز على قيد الحياة.

هل تصلي صلوات يستطيع الله أن يستجيبها؟

أريد أن أقترح عيك شيئًا تضيفه إلى صلواتك اليومية. في كل يوم اسأل الله ما الذي يمكنك أن

تفعله لأجله. ثم أثناء مواصلتك لحياتك اليومية، راقب الفرص لتفعل ما ترى أن يسوع كان سيفعله لو كان مازال هنا على الأرض بجسده. إذا كنت مسيحيًا مؤمنًا، فهذا يعني أن الله يعيش فيك الآن، وأنت سفيره. لذلك احرص على أن تمثله جيدًا. لقد قضيت سنوات كثيرة في صلواتي الصباحية أخبر الله بما أريده أن يفعله لي، لكن مؤخرًا فقط أضفت هذا الجزء الجديد: «يا رب، ما الذي يمكنني أن أفعله لك اليوم؟».

مؤخرًا كنت أطلب من الله أن يساعد صديقة لي كانت تجتاز في وقت عصيب للغاية. كانت تحتاج إلى شيء ما، لذا طلبت من الله أن يعطيه لها. ولدهشتي، كانت إجابته عليَّ هي: «كفي عن سؤالي أن أسدد هذا الاحتياج. اسأليني أن أريكِ ما يمكنكِ أنتِ أن تفعليه». وقد أدركت أنني كثيرًا ما أطلب من الله أن يفعل لي بعض الأشياء في الوقت الذي يريد

هو فيه مني أن أفعل هذه الأشياء بنفسي. إنه لا يتوقع مني أن أفعل أي شيء بدون مساعدته، لكنه أيضًا لن يفعل كل شيء لي بينما أجلس أنا بدون عمل. الله يريدنا أن نكون منفتحين ومشاركين. إنه يريدنا أن نستخدم مصادرنا لنساعد الناس، وإذا كان ما لدينا غير كافٍ لتسديد احتياجاتهم، يمكننا أن نشجع آخرين على الاشتراك معنا حتى يمكننا معًا أن نفعل ما يلزم فعله.

الله يريدنا أن نكون عاملين ومشاركين.

أشجعك أن تصلي صلوات يستطيع الله أن يستجيبها. أنت وهو شريكان. وهو يريد أن يعمل معك ومن خلالك. اطلب منه أن يظهر لك ما يمكنك أن تفعله، واعتمد عليه في أن يعطيك ليس فقط الإبداع، بل المصادر التي تمكنك من تحقيق هذا أيضًا.

لا تفزع عندما أقول «استخدم مصادرك»، فأنا أتحدث عما هو أكثر من المال. إن مصادرنا تشمل طاقتنا، ووقتنا، ومهاراتنا، وممتلكاتنا المادية، تمامًا كما تشمل نقودنا. قد تشتمل مساعدة شخص ما على المال، لكنها غالبًا ما تشتمل على الوقت، وأنا أعتقد أن وقتنا أصبح ضيقًا جدًا في مجتمعنا لدرجة أن تحرير شيك للفرد المحتاج أصبح أسهل من استقطاع الوقت للاهتمام به. لقد أصبحت أؤمن أن ما أسميه خدمة «الشخص المتاح» هي غالبًا أكثر ما يحتاجه الناس.

لي صديقة تعيش في مدينة كبيرة يمثل فيها المشردون مشكلة ضخمة. في احدى ليالي الشتاء، كانت عائدة لبيتها من العمل، ومرت برجل يطلب مالاً. كان الجو باردًا ومظلمًا، وكان يومًا طويلاً وتشتاق إلى العودة للبيت. لم ترد أن تخرج محفظتها في هذه الظروف غير الآمنة، ففتشت

في جيبها لتجد بعض العملات المعدنية. وبينما كانت أصابعها تبحث بدون جدوى، بدأ الرجل يخبرها أن معطفه قد سُرق منه في ملجأ المشردين الذي قضى فيه الليلة السابقة، وبعدها استمر يصف لها بعض المشكلات الأخرى التي كان يواجهها. وبينما كانت تحاول إخراج بعض العملات، كانت تومئ برأسها في الأوقات المناسبة وتقول «هذا سيئ للغاية». وعندما وجدت النقود أخيرًا، ألقت بها في إناء هذا الرجل. فابتسم وقال «شكرًا لكِ على الحديث معي». تقول صديقتي إنها أدركت في تلك الليلة أن الخمسين سنتًا التي أعطتها له كان لها تقديرها عنده، لكن ما كان يعني الكثير للرجل هو فكرة أنه يوجد شخص استمع إلى ما قاله، وتجاوب معه.

لدينا فريق من الناس من خدمتنا يحاولون أن يساعدوا من يعيشون في الأنفاق تحت جسر وسط

المدينة. وقد وجدوا أن كلاً من هؤلاء الناس كانت له حياة قبل الأنفاق، وكلهم لديهم قصص. أحيانًا تكون هناك مأساة حدثت لهم وأدت بهم إلى الظروف الحالية. وهم يقدرون الشطائر، وتوصيلهم إلى الكنيسة بالسيارات حيث يمكنهم الاستحمام والحصول على ملابس نظيفة. لكن أكثر ما يقدرونه هو أن يعتني بهم شخص للدرجة التي تجعله يتحدث معهم لفترة طويلة تجعله يكتشف من هم وما حدث لهم.

أريد أن أشجعك أن تفعل كل ما يمكنك فعله لتساعد الآخرين. إذا كانوا يريدون فقط أن تكون موجودًا عندما يحتاجونك، فاصرف وقتًا في فعل ذلك. اسأل الله عما يريدك أن تفعله - وهو سوف يجيب صلاتك حتى يمكنك أن تفعل ذلك.

ممارسة الصلاح بقوة

هل تؤمن أن العالم مليء بالظلم؟ هل تعتقد أنه يجب فعل شيء ما تجاه الأطفال الذين يموتون من الجوع؟ هل ينبغي أن يساعد أحد ١,١ مليون نسمة لا يجدون مياه شرب آمنة؟ هل يجب أن يعيش الناس في الشوارع أو تحت الجسور؟ هل يجب على الأسرة التي كنت تذهب معها إلى الكنيسة لسنوات أن تعاني من مأساة ولا يتلقّون حتى مكالمة تليفونية من أي شخص ليعرف لماذا لم يأتوا إلى الكنيسة منذ ثلاثة أشهر؟ إذا تعرضت كنيسة تنتمي لطائفة أخرى في مدينتك للحريق، هل من اللائق أن تصلي فقط وألا تفعل شيئًا عمليًا لمساعدتهم؟ هل تؤمن أن شخصًا ما يجب أن يفعل شيئًا ما تجاه الظلم؟ أعتقد أنك قد أجبت على كل الأسئلة السابقة إجابة سليمة، لذلك لدي سؤال أخير. ماذا ستفعل؟ هل تكون

أنت ذلك «الشخص» الذي يفعل ما يلزم فعله؟

عندما أسألك عما ستفعله، هل تشعر بالخوف لأنك تتساءل عمّا سيتطلبه «فعل شيء ما»؟ أنا أتفهم هذا النوع من الشعور بالذعر. ففي النهاية إذا قررت حقًا أن أنسى نفسي وأن أبدأ بقوة في محاولة المساعدة، ما الذي سيحدث لي؟ من سيهتم بي إذا لم أهتم بنفسي؟ قال الله إنه سيهتم بنا، لذلك أعتقد أننا يجب أن نعرف ما إذا كان يعني حقًا ما قاله أم لا. لماذا لا تكف عن «الاهتمام بالذات»، وترى إذا كان الله سيقوم بهذا أفضل منك. أنا أثق أننا إذا كنّا نهتم بعمله، الذي هو مساعدة المتألمين، سوف يهتم هو بعملنا.

فقط استمر في التحرك

في نهاية هذا الكتيب، أريد أن أقول إنني أدرك أن هناك أشياء تحدث في الحياة تجعلنا نريد أن نعتزل

عن العالم لفترة من الزمن. أنا أدرك أن معظم تغيرات الحياة تحدث وتتطلب فترة من التكيف، وأنا أدرك أن الخسارة أو الصدمات يمكنها أن تجعل الناس لا يريدون أن يتفاعلوا مع الآخرين أو أن يمدوا أيديهم لهم، وأنا أتعاطف مع كل هذه الأمور. وإذا كنت قد عانيت من خسارة ما، وتركتك فاقدًا للإحساس ولا ترغب في فعل أي شيء، فأنا أفهم ما تشعر به، لكنني أريد أن أشجعك أن ترغم نفسك على الاستمرار في التحرك. إبليس يريد أن يعزلك، لأنك بمفردك قد لا تكون لديك القوة لأن تهزم أكاذيبه. أعرف أنه ربما يبدو سخيفًا أن أقول لك اذهب وساعد شخصًا آخر، لكنني أؤمن بكل قلبي أن هذا التصرف حماية لك، كما أنه هو الحل لمشكلات العالم.

دعني أكرر مرة أخرى: أنا أؤمن بشدة أننا نحتاج إلى ثورة محبة. لقد جربنا جميعًا الأنانية

والاكتئاب، والإحباط والشفقة على النفس، ورأينا ثمار ذلك، فالعالم مليء بنتائج هذه الأمور. دعونا نتفق معًا أننا سوف نعيش الحياة بطريقة الله. احرص على أن تكون بركة للآخرين (انظر غل ٦: ١٠). البس المحبة (انظر كو ٣: ١٤). هذا يعني أن تتعمد أن تكون نشيطًا في الوصول إلى الناس. اسهر وصلِّ لأجل الحصول على الفرص، كن رقيبًا لله! كان يسوع ينهض كل يوم ويبدأ في عمل الخير (انظر أع ١٠: ٣٨). يبدو الأمر بسيطًا. أتعجب كم فاتنا هذا الأمر طوال هذا الوقت.

صلاة للخلاص

الله يحبك ويريد ان تكون له علاقة شخصية بك. ان لم تكن بعد قد قبلت يسوع المسيح كمخلصك الشخصي، يمكنك فعل ذلك الان. فقط افتح قلبك له وصل هذه الصلاة...

"ابي السماوي، أعلم اني اخطأت بحقك. من فضلك سامحني. اغسلني طاهراً. أعدك بوضع ثقتي في يسوع ابنك. أؤمن انه قد مات لاجلي اخذاً خطيتي عندما مات على الصليب. اؤمن انه اقيم من الموت. الأن اسلَم حياتي ليسوع.

أشكرك أبي السماوي على عطية الغفران والحياة الابدية. أرجوك ساعدني كيما احيا لك. باسم يسوع المسيح. امين."

وبصلاتك من القلب، الله قد قبلك، طهرك، وحررك من عبودية الموت الروحي. خذ وقتاً لقراءة ودراسة هذه الايات وأسال الله ان يتكلم اليك وأنت تسير واياه خلال هذه الرحلة في حياتك الجديدة.

يوحنا 3: 16 1 كورنثوس 15: 3-4

افسس 1: 4 أفسس 2: 8-9

1 يوحنا 1: 9 1 يوحنا 4: 14- 15

1 يوحنا 5: 1 1 يوحنا 5: 12-13

صلي وأسال الله ليساعدك لتجد كنيسة تعتمد الكتاب المقدس في التعليم لتتشجع في النمو في علاقتك الشخصية مع المسيح. الله دائماً معكز سوف يقودك يومياً ويريك كيف تعيش الحياة الفياضة التي اعدها لك!